الرجل الثالث

محمود سالم

الرجل الثالث

تأليف
محمود سالم

هنـــداوي

الرجل الثالث

محمود سالم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: وجدان توفيق

الترقيم الدولي: ٩ ٢٤٤٥ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب عام ١٩٧٧.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢١.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي.
جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي محفوظة لأسرة السيد الأستاذ محمود سالم.

المحتويات

من هم الشياطين الـ «١٣»؟	٧
أبطال هذه القصة	٩
المرأة التي تعرف	١١
لغز اللوحات الفنية	١٧
رحلة لم تكن على البال	٢٣
«عثمان» يرقص ... ويضرب	٢٩
الحديث في سيارة	٣٥
قريب من السر ... وبعيد عنه	٤١
الرجل السادس	٤٧
الفجر في ميناء بيروت	٥٣

من هم الشياطين الـ«١٣»؟

إنهم ١٣ فتًى وفتاةً في مثل عمرك، كلٌّ منهم يُمثِّل بلدًا عربيًّا. إنهم يقفون في وجه المؤامرات الموجَّهة إلى الوطن العربي ... تمرَّنوا في منطقة الكهف السِّري التي لا يعرفها أحد ... أجادوا فنون القتال ... استخدام المسدسات ... الخناجر ... الكاراتيه ... وهم جميعًا يُجيدون عدة لغات.

وفي كل مغامرةٍ يشترك خمسة أو ستة من الشياطين معًا ... تحت قيادة زعيمهم الغامض رقم «صفر» الذي لم يرَه أحد، ولا يعرف حقيقته أحد.

وأحداث مغامراتهم تدور في كل البلاد العربية ... وستجد نفسك معهم مهما كان بلدك في الوطن العربي الكبير.

أبطال هذه القصة

رقم «١»: «أحمد» من مصر.

رقم «٢»: «عثمان» من السودان.

رقم «٣»: «إلهام» من لبنان.

رقم «٤»: «هدى» من المغرب.

رقم «٥»: «بو عمير» من الجزائر.

رقم «٦»: «مصباح» من ليبيا.

رقم «٧»: «زبيدة» من تونس.

رقم «٨»: «فهد» من سوريا.

رقم «٩»: «خالد» من الكويت.

رقم «١٠»: «ريما» من الأردن.

رقم «١١»: «قيس» من السعودية.

رقم «١٢»: «باسم» من فلسطين.

رقم «١٣»: «رشيد» من العراق.

رقم «صفر»: الزعيم الغامض الذي لا يعرف حقيقته أحد!

المرأة التي تعرف

عندما عاد «أحمد» و«إلهام» و«بو عمير» و«هدى» و«زبيدة» و«عثمان» إلى بيروت بعد نهاية مغامرة الغواصة المجهولة التي انتهت في عدن كان عندهم الكثير مما يقولونه لرقم «صفر».

لم تكن المُغامرة قد انتهَت النهاية العادية ... فقد عاد الشياطين الستة بعد أن تركُوا بطل المغامرة «هانز شميدت» في يختِه عند شاطئ جزيرة مصيدة بعد أن فشلوا في العثور على مكان الغوَّاصة المجهولة ... فلم يكن للشياطين مصلحة في القبض عليه.

وجلس «أحمد» يُعدُّ تقريرًا مطولًا إلى رقم «صفر» يَشرح له كل ما حدث ... فلم يكن رقم «صفر» يعلم ما حدث بعد سفر الشياطين إلى عدن.

كتب «أحمد»:

من «ش. ك. س» إلى رقم «صفر»

طلبتَ منَّا متابعة شخص يُدعى «هانز شميدت» بعد ظهوره في بيروت باسم مختلف هو «هنتر سميث» ... وقد اتَّضح أن الرجل يسعى خلف ثروة ضخمة أو كنز خرافي مدفون في أعماق البحر قرب شاطئ عمان جنوب الجزيرة العربية. وقصَّة الكنز تعود إلى فترة الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩–١٩٤٥م) عندما فكر أحد قادة البحرية الألمانية أن يشحن مبلغ خمسة ملايين فرنك ذهبي في غواصة ويُرسله إلى أميركا الجنوبية. وقد قامت الغواصة برحلتها وعليها ثلاثة رجال فقط يعلمون حقيقة مهمَّتها ... وقد قرر الثلاثة الاستيلاء على الكنز الذهبي فغيَّروا خطتهم وبدلًا من الذهاب إلى أميركا الجنوبية اتجهوا بالغواصة إلى المحيط

الهندي حيث قاموا بتفجير الغواصة عند ساحل عدن ثم اتجهوا إلى الشاطئ، واختفوا على أمل أن يعودوا بعد ذلك لانتشال الكنز ...

وقد كان أحدهم وهو البحار «سيمون موران» الذي فقد الذاكرة ثلاثين عامًا حتى مات في مُستشفى بوسطن بالولايات المتحدة الأميركية ... وكان الثاني هو «جوزيف سليم» الذي كان يعيش قرب بيروت ثم مات بعد إصابته في حادث طائرة ... وهكذا لم يكن موجودًا على قيد الحياة ممَّن يعرف مكان الغواصة إلا الرجل الثالث المجهول الشخصية، وربما يكون هو أيضًا قد مات.

ونحن نَعتقِد أن «هانز شميدت» لن يكفَّ عن البحث عن الكنز. وما دام الرجلان «سيمون موران» و«جوزيف» قد ماتا دون أن يَبُوحا بسرِّ الغواصة ... فإن «هانز» سوف يبحث عن الرجل الثالث ... ونحن نستطيع أيضًا أن نبحث عن الرجل الثالث إذا أمرتَ بذلك ... فعندنا نفس المعلومات التي يَعرفها «هانز شميدت».

فإذا شئت أن نبدأ البحث فهناك خطتان ... أن نَتبع «هانز» عن قرب ونحن نعتقد أنه سيعود إلى بيروت ... أو نبدأ نحن البحث بطريقتنا الخاصة ... ونحن في انتظار تعليماتك ...

انتهى «أحمد» من كتابة التقرير ... وأعاد قراءته ليطمئنَّ إلى ما فيه ... ثم أعطاه إلى «إلهام» لتقوم بإرساله عن طريق اللاسلكي.

جلست «إلهام» تقرأ التقرير فلما انتهت منه قال لها «أحمد»: ما رأيكِ؟

قالت «إلهام»: معقول جدًّا ومُختصَر، ولكن ما هي طريقتنا الخاصة؟

أحمد: هل نسيتِ زوجة «جوزيف سليم»؟

إلهام: معكَ حق ... ولكن عندما ذهبت «زبيدة» و«عثمان» للبحث عن «جوزيف» ولم يجداه في الفيلَّا لم تكن هي أيضًا هناك!

أحمد: تمامًا ... ومهمتنا هي البحث عنها.

إلهام: كيف؟! وأين؟!

أحمد: ذلك شيء سوف نُفكِّر فيه ... المهم الآن أن تُرسلي التقرير إلى رقم «صفر» وننتظر تعليماته.

وقامت «إلهام» لإرسال التقرير بينما جلس «أحمد» وبقية الشياطين يتحدثون، فقال «عثمان»: إن بقية الشياطين في دمشق لا يعرفون شيئًا عن عملية الغواصة المجهولة. أليس من الأفضل أن نُرسلَ إليهم ليعودوا أو يذهب أحدنا لإخطارهم بما حدث؟!

أحمد: لنَنتظِر أولًا رد رقم «صفر» على تقريرنا ... وربما يطلب منا ألا نتدخل في هذا الموضوع أكثر ... وتنتهي المسألة عند هذا الحد.

مضى يومان على إرسال تقرير الشياطين إلى رقم «صفر» ... ثم جاء رده:

من رقم «صفر» إلى «ش. ك. س»:

المبلغ يستحق التدخُّل ... واتبعوا الخطَّين معًا، مجموعة منكم تُراقب «هانز»، ومجموعة تُنفذ خطتكم ... أخطروني أولًا بأول عما يحدث.

قال «عثمان» معلقًا: إذا افترضنا أننا سنجد زوجة «جوزيف»، فهل من الضروري أن يكون قد قال لها عن قصة الكنز؟

أحمد: هل تعتقد أن يُخفي زوجٌ عن زوجته سرًّا ... ثلاثين عامًا كاملة؟!

قالت «إلهام» ضاحكة: لو كنتَ أنتَ هل تقول لها؟

أحمد: بالتأكيد!

بو عمير: إنكم تتحدَّثون عن زوجة «جوزيف» وكأنَّنا عثرنا عليها ... هل نسيتم أن عصابة «هانز» ستفكِّر بنفس الطريقة، وقد تصل أولًا؟!

أحمد: لهذا يجب أن نتحرَّك بسرعة.

زبيدة: وماذا تتوقَّعون أن تجدوا عند السيدة ... مكان الكنز ... أم مكان الرجل الثالث؟

أحمد: أحدهما على الأقل ... ولعلها تعرف مكان الرجل الثالث ... ومكان الكنز معًا.

زبيدة: ومن أين نبدأ؟

أحمد: بالذهاب إلى فيللا «جوزيف» في قرية خلده حيث ذهبتَ أنت أولًا ثم ذهبت أنت و«عثمان» بعد ذلك.

زبيدة: وهل تتوقَّع أن تجد زوجة «جوزيف» قد عادت؟

أحمد: لا أدري ... ربما تكون قد عادت ... وربما تكون العصابة قد اختطفتها مع «جوزيف» وأخفتْهما في مكانٍ ما ... وفي كل الأحوال سوف نُفتِّش الفيلَّا جيدًا ... لقد وصلنا منذ يومَين وهي مدة طويلة ... ويجب أن نُسرع الليلة إلى الفيلَّا.

هدى: ليلًا؟

أحمد: طبعًا ... إننا إذا لم نجد زوجة «جوزيف» فسوف نُفتِّش الفيلَّا.

هدى: وماذا تتوقَّع أن نجد؟

أحمد: أي شيء يدلُّنا على مكان الزوجة إذا كانت ما زالت غائبة، أو على مكان الرجل الثالث إذا كان ما زال حيًّا.

وعندما هبَط الظلام على بيروت ... استعدَّ الثلاثة؛ «زبيدة»، «عثمان» ... و«أحمد» للانطلاق في إحدى سياراتهم السريعة ... وفي العاشرة تمامًا انطلقت السيارة إلى قرية خلده الصغيرة ... وكان «عثمان» يقود السيارة، و«زبيدة» تجلس بجانبه، بينما كان «أحمد» يجلس في المقعد الخلفي ... كان يخشى أن يصلوا متأخِّرين، وأن تكون العصابة قد فتَّشت الفيلَّا واستطاعت الوصول إلى السيدة العجوز زوجة «جوزيف سليم» ... أحد الثلاثة الذين يَعرفون سر الغواصة المجهولة الراقدة في بطن المحيط الهندي حيث لا يعلم أحد.

لقد مات «جوزيف سليم» ... ومات البحار «سيمون موران» ... وأصبح السر محصورًا في الرجل الثالث ولا أحد يعرف إذا كان ما زال حيًّا أم مات ... كما أنه من المُحتمَل أن يكون «جوزيف» قد أخبر زوجته بمكان الغوَّاصة ... وعليهم أن يصلوا إليها قبل أن تصل عصابة «هانز» ... فهل يصلُون في الوقت المناسِب؟!

نظر «أحمد» من فوق كتف «عثمان» يُراقب عداد السرعة وهو يقفز من ٩٠ إلى ١٠٠ إلى ١٢٠ كيلومترًا في الساعة ... ثم يَقفز مرةً رابعة إلى ١٥٠ كيلومترًا في الساعة، وأدرك أنهم سيصلُون بعد أقل من ساعة ...

ودارت السيارة خارج القرية ثم اتَّجهت مباشرةً إلى شاطئ البحر حيث تقع فيللا «جوزيف سليم» ... لم يكن أحدٌ قد ذهب إلى المكان من قبل، ولكن «زبيدة» زارته مرتَين و«عثمان» مرة، فهما يعرفان الطريق جيدًا.

وتحت مجموعة من الأشجار أوقف «عثمان» السيارة، ثم نظر إلى «أحمد» وأشار بإصبعه إلى كتلة ضخمة سوداء وقال: هذه هي الفيلَّا.

أحمد: لقد سبق أن دخلتَها ليلًا ... أليس كذلك؟

عثمان: طبعًا ... وأذكر كيف دخلت.

ونزل الثلاثة ... وأشار «أحمد» إلى «زبيدة» أن تتأخَّر قليلًا عنهما وقال لها: لا تدخلي إلا بعد أن ندخل بعشر دقائق على الأقل ... فقد نقع في مأزق ونحتاج إليكِ.

واقترب «عثمان» و«أحمد» من الفيلَّا في هدوء حتى وصلا إلى سور الحديقة ... ووقفا قليلًا يُنصِتان ويَرقُبان الفيلَّا ... وفجأةً قال «عثمان»: هل رأيت؟

أحمد: ماذا؟

عثمان: ضوء خفيف سريع داخل الفيلَّا.

أحمد: لم أرَ شيئًا، لعله انعكاس ضوء إحدى السيارات المارة من بعيد!

عثمان: ربما!

وقفزا السور بهدوء وسرعة ... ثم تقدَّما مُسرعَين إلى الفيلَّا المُظلِمة الصامتة ... كان «عثمان» يسير في المقدمة وخلفه «أحمد»، وقد أمسك «عثمان» بِكُرتِه المطاط العجيبة، والتي يُمكن أن يصرع بها رجلًا على بُعد عشرين مترًا ... بينما شهر «أحمد» مسدسه.

ووصَلا إلى الفيلَّا، واقترب «عثمان» من إحدى النوافذ ثم أخرج أداة صغيرة من جيبه وضعها بين أخشاب النافذة، وفي لحظاتٍ فتح المصراع الخشبي، وكان مُدهِشًا أنهما وجدا المصراع الزجاجي مفتوحًا ... فأرهفا السمع لحظات، ولما لم يَسمَعا شيئًا، تخطَّى «عثمان» النافذة وتبعه «أحمد» ... ولم يكادا يدخلان حتى سطع ضوءٌ باهر في الفيلَّا أعشى أبصارهما، وسَمِعا صوتًا يقول: كنا في انتظار حضوركما!

وعندما اعتادت عيناهما الضوء شاهَدا رجلًا ضخم الجثة يجلس على كرسي وقد وضع بين يدَيه مدفعًا صغيرًا سريع الطلقات، بينما سمعا صوتًا من خلفهما يقول: من الأفضل أن تُلقيا سلاحَيكما على الأرض.

ألقى «أحمد» بمسدَّسه ... بينما ظل «عثمان» مُمسكًا بكرتِه المطاط فقال الرجل: اترك هذه اللعبة من يدِك!

أحسَّ «عثمان» بالدم يَندفع إلى رأسه ... ولكن نظرة من «أحمد» جعلَتْه يضع الكرة في هدوء وإعزاز على أحد المقاعد.

قال الرجل: هذا حسن جدًّا!

وأشار لهما ليقفا بجوار الحائط ثم قال: إن «هانز» يُبلغُكما تحياته ويرجو أن تكونا مُطيعَين.

وسكَت لحظات ثم قال: أين زوجة «جوزيف»؟!

لغز اللوحات الفنية

رد «أحمد» بسرعة: إنه سؤال غبي.

احمرَّ وجه الرجل وقال: كن حذرًا في اختيار ألفاظك!

قال «أحمد» دون أن يهتمَّ: لو كنا نعرف مكان زوجة «جوزيف سليم» لما حضَرْنا إلى هنا ...

قال الرجل: ولماذا حضرتُما إذن؟

أحمد: إنه نفسُ السؤال الذي أوجهه إليكما.

الرجل: ليس من عادتنا الإجابة على الأسئلة.

أحمد: إنها عادة طيبة ... وسوف نتبع نفس القاعدة.

ورفَعَ الرجل مدفعه السريع الطلقات وحركه يمينًا ويسارًا، وقال: سيَشترِك معنا هذا المدفع الصغير في الحوار.

لم يُبدِ «أحمد» أيَّ اهتمام، وقال: إنني أحب أن أسمع صوته.

الرجل: لقد أمضينا ليلتين في انتظار حضور أحدكم ... وها قد حضر اثنان وعليكما فورًا أن تقولا لنا كل المعلومات التي تَعرفونها.

أحمد: نحن لا نعرف أكثر مما تَعرفون.

الرجل: في هذه الحالة يجب أن آخذَكُما إلى «هانز».

أحمد: إنه لقاء أسعى إليه ... وأتمنَّى أن يتم.

وأخذ «أحمد» يُدير بصره في المكان ... كان من الواضح جدًّا أن الرجلين قد فتَّشا المكان تفتيشًا دقيقًا، وأنه إذا كانت هناك أيَّة أدلة فقد حصلا عليها ... وأخذ «أحمد» يفكر سريعًا هل يذهبان مع الرجل إلى «هانز»؟ وما هي المعلومات التي يمكن أن يَحصُلا عليها من هذا اللقاء ... وفي نفس الوقت هناك «زبيدة» التي تقف في الخارج ... ولعلَّها تسمع الحوار

الآن ... فكيف يُمكن أن تتصرف؟ ... وقطع عليه حبل تفكيره صوت رصاصة انطلقت من الخارج ... وشاهد «أحمد» الرجل الذي يحمل المدفع وهو يَقفز كالمسوع ممسكًا بذراعِه اليسرى ... وقفز «أحمد» قفزةً واحدة، وسدَّد لكمةً قوية إلى فك الرجل جعلته يترنَّح ثم يسقط ... وفي نفس الوقت كان «عثمان» قد انقضَّ على الرجل الآخر وحمَلَه بين ذراعَيه كطفل صغير، ثمَّ رفعه إلى فوق وتركه يسقط على الأرض.

واجتازَت «زبيدة» النافذة وبيدِها مسدسها ... وقال لها «أحمد» مبتسمًا: ليتك انتظرتِ قليلًا!

زبيدة: لماذا؟

أحمد: لقد كُنا في الطريق إلى «هانز».

زبيدة: كيف؟

أحمد: كان هذان البغلان يُريدان أن يذهبا بنا إلى «هانز» لاستجوابنا، وكانت هذه فرصة لمعرفة مكان «هانز».

زبيدة: نستطيع أن نُرغمهما على الحديث.

أحمد: سنُحاول.

كان «عثمان» يُمسك بمدفع الرجل الضخم، ويَرقُب الرجلين في هدوء وهو يجلس على مقعد، بينما جلس الرجلان على الأرض، وقد بدَتْ عليهما علامات الذهول لما حدث ... ووجَّه «أحمد» حديثه إلى الرجل الضخم قائلًا: والآن ... أين «هانز»؟

لم يردَّ الرجل، فقال «أحمد»: إنك منذ دقائق قليلة عرضت علينا أن تأخذنا إلى «هانز» لاستجوابنا، ونحن نُرحِّب بالاقتراح!

أخذ الرجل الضخم يَنظُر إلى «أحمد» في غيظٍ دون أن يردَّ، فقال «أحمد»: نستطيع بالطبع أن نَنتزِع منكما مكان «هانز» ... ولكنَّنا عادةً نُفضِّل التفاهم على استعمال العنف ...

ردَّ الرجل: تعليمات «هانز» أن نَنتظِر حضور أي شخص إلى هذا المكان، ثم نستجوبه ... فإذا لم نَستطِع الحصول منه على معلومات فعلَينا أن نحمله إليه.

أحمد: اتَّصل بـ «هانز» تليفونيًّا واسأله!

نظرت «زبيدة» إلى «أحمد» وعرفت ماذا يَقصد بالاتِّصال التليفوني ... لقد تمرَّنوا على معرفة الأرقام بمجرَّد النظر إلى اليد وهي تُدير الأرقام. فإذا لم يتمكَّنوا ففي إمكانهم معرفة الأرقام بالاستِماع إليها ... ولا شكَّ أن «أحمد» يُريد أن يَعرف رقم «هانز» ... وإنه لن يُغامر بأن يدخل عرين الأسد بقدمَيه.

نظر الرجلان أحدهما إلى الآخر، وقام الرفيع الذي كان يتألم وهو يُحاول الوقوف، واتجه إلى التليفون، وكان حذرًا؛ فقد حجب قرص التليفون بجسمه وهو يُدير الأرقام، وأرهف «أحمد» و«زبيدة» و«عثمان» آذانهم لدوَران القرص ... وعندما انتهى الرجل من طلب رقم «هانز»، ابتسم الثلاثة ... فقد استطاعوا معرفة الرقم بالسماع.

تحدَّث الرجل إلى «هانز» بصوتٍ خافتٍ لحظات، بينما كان «أحمد» يُدير عينَيه مرةً أخرى في المكان، وفجأةً لمعت عيناه ببريقٍ غريبٍ لاحَظَه «عثمان» ... وكانت عينا «أحمد» مُثبتتَين على اللوحات الفنية المعلَّقة في الصالة ... وأخذ «عثمان» يُحاول فهم ما يدور في رأس «أحمد» ... وقطع عليه حبل تفكيره الرجل الرفيع وهو يضع سماعة التليفون ثم يَلتفِت إلى «أحمد» قائلًا: إن «هانز» سيَحضُر بعد قليل.

رد «أحمد»: شكرًا!

ثم قال لزبيدة: انتبهي جيدًا!

والتفت إلى «عثمان» وقال: سنشد وثاق الصديقين.

وبسرعة وحزم قام «أحمد» و«عثمان» بشدِّ وثاق الرجلَين، ثم وضعاهما في حجرة، وقال لهما «أحمد» قبل أن يُغلق الباب: سيحضر «هانز» بعد قليل، وأرجو أن يَعثُر عليكما!

قال «عثمان»: ألن تُقابله؟

أحمد: إنه بالطبع سيَحضُر ومعه جيش من أعوانه ... ومن الواضح أنه لا يَعرف معلومات أكثر مما نعرف، فلماذا نُقابله؟

ثم اتجه «أحمد» سريعًا إلى اللوحات الفنية الخمس المعلَّقة على الجدران وقال: ساعداني في إنزالها.

عثمان: ماذا تُريد منها؟

أحمد: ستعرف حالًا ... ولكن أَسرِع ... إن «هانز» ... قريب منَّا!

وبسرعة حمل الثلاثةُ اللوحات الفنية، ثم انصرفوا مُسرِعين، وأغلقوا باب الفيلَّا، وبعد لحظات كانت السيارة تشقُّ طريقها إلى بيروت بقيادة «عثمان».

قالت «زبيدة»: لقد حفظتُ رقم تليفون «هانز».

أحمد: وأنا حفظته!

عثمان: وأنا أيضًا!

زبيدة: والآن ... ما هي حكاية هذه اللوحات؟

أحمد: كنت أظنُّكِ ستعرفين!

زبيدة: ومن أين لي أن أعرف ماذا يدور بخاطرك حول هذه اللوحات؟!

قال «عثمان» مبتسمًا: لعلَّها ذات قيمة ... ولعلَّه يبيعها فيحصل على ثروة!

أحمد: قيمتها الفنية لا تُهمني ... وإن كان الرسَّام على قدرٍ كبير من المهارة والدقة!

زبيدة: إنه «جوزيف سليم».

أحمد: ولهذا اهتممتُ بها ... إنني أذكُر ما قلتِه على لسانه ... لقد كان يرسم في الماضي، ولكنَّه توقف بعد أن تقدَّمَت به السن ... أليس كذلك؟

زبيدة: هذا حدث فعلًا.

أحمد: ألم تُلاحظي مكان هذه اللوحات؟

زبيدة: إنها على شاطئ البحر.

أحمد: ولكنَّ بعضَها ليس في لبنان!

زبيدة: هل أنت متأكِّد؟

أحمد: ليس تمامًا ... ولكن فكرة خطرت ببالي قد تكشف عن أشياء مذهلة في هذه المغامرة!

زبيدة: ما هي هذه الفكرة العجيبة؟

أحمد: عندما نصل إلى مقرِّ الشياطين سوف أقول لكم على ما أفكِّر فيه.

عثمان: إنَّ ما أفكر فيه الآن هو أنني جائع جدًّا ...

أحمد: فكرة لا بأس بها ... قد تحلُّ اللغز.

وضحك الثلاثة ... واستمرَّت السيارة تشقُّ طريقها كالسَّهم، وقد أطلق «عثمان» من الراديو موسيقى خفيفة ... وبعد نحو ساعة كانوا يدُورُون حول الكورنيش في لفَّات متعرِّجة ... ثم وصلُوا إلى المقرِّ ... وصعدوا إلى الطابق الثاني ... وكان بقية الشياطين ساهِرين في انتظار عودتهم.

قام «أحمد» بوضع اللوحات الفنية بجوار الجدار فوق مائدة مستطيلة ووقف يتأملها، ثم قال: «إلهام» ... هل يُمكن أن تُميِّزي بين اللوحات التي تُمثِّل مشاهد الطبيعة في لبنان وغيرها؟

قالت «إلهام» مبتسمة: هل هو امتحان؟

أحمد: امتحان بسيط في الجغرافيا باعتبارك لبنانية.

إلهام: اللوحة الثانية والرابعة والخامسة من لبنان بالتأكيد!

أحمد: واللوحة الأولى والثالثة؟

إلهام: لا أظن أنها من لبنان ... ولكن هذا ليس مُستبعدًا؛ فإنني لا أعرف كل مكان في لبنان ... وإن كان من المؤكَّد أن طراز المنازل فيها ليس لبنانيًّا تمامًا.

أحمد: هل لأحد تعليق على هذا الكلام؟

بو عمير: أظن أن المنازل في اللوحتَين الأولى والثالثة ذات طابع أوروبي أكثر وإن كانت غامضةً بعض الشيء.

أحمد: هل يعرف أحد منكم المكان الذي رُسمت فيه هاتان اللوحتان؟

هدى: قد تكون في جنوب فرنسا.

عثمان: أو جنوب إيطاليا!

التفتت «إلهام» إلى «أحمد» وقالت: المهم هل تَعرف أنت؟

أحمد: لا ... ولو كنت أعرفُ لما سألتكم.

بو عمير: وما هي أهمية المكان الذي رُسمَت فيه هاتان اللوحتان؟

أحمد: تصوُّر ... مجرَّد تصور ... أنه المكان الذي سنَعثُر فيه على زوجة «جوزيف سليم»!

بو عمير: وكيف بَنيتَ استنتاجاتك؟

أحمد: سأقول لكم ... بعد أن نتعشَّى ... وبعد أن نستدعيَ «سرور» ليحمل هاتين اللوحتين إلى رقم «صفر» ليدلَّنا على مكانهما.

وسمع الأصدقاء صوت «سرور» يقول من جانب الباب: لا داعيَ لأن نرسلهما إلى رقم «صفر».

والتفَتَ الشياطين ناحية الباب، ورأوا «سرور» يقف في مكانه يتأمل اللوحات ويبتسم ثم قال: إنني أعرف أين رُسمت هاتان اللوحتان!

رحلة لم تكن على البال

كانت مفاجأةً للشياطين الستة ... عم «سرور» رجل المخابرات العجوز يتدخل في الوقت المناسب ... وابتسم «أحمد» ... وبدت على وجوه الشياطين مشاعر اللهفة والانتظار، وقال «سرور»: هذه اللوحات رُسمَت في قبرص!

أحمد: قبرص ... هل أنت متأكد؟

سرور: طبعًا ... هذه القلعة القديمة من معالم ميناء القراصِنة في شمال قبرص.

ومضى «سرور» يقول: لقد عملتُ في قبرص فترةً من حياتي ... وأعتقد أنني أعرف كل شارع فيها ... وهذه القلعة تُوجد على قمَّة تلٍّ في قرية كيرينيا في شمال قبرص وهو ميناء صغير يُسمونه ميناء القراصنة ... فقد كان مأوًى لقراصنة البحر المتوسِّط في العصور الوسطى.

أحمد: إنك رجل رائع يا عم «سرور»!

بو عمير: والآن ما هي فكرتُكَ عن هذه اللوحات؟

اعتدل «أحمد» في جلسته ثم قال: لقد قالت «زبيدة» عند زيارتها لفيللا «جوزيف سليم» إنه رسام ماهر، وروَت حديثًا جرى بينها وبين زوجة «جوزيف» عن اللوحات والرسم، وقالت الزوجة إن «جوزيف» قد توقف عن الرسم في المدة الأخيرة ... أليس كذلك يا «زبيدة»؟!

زبيدة: هذا صحيح ...

أحمد: وقد لاحظتُ أن «جوزيف» يوقع على اللوحات ويكتب التاريخ عليها ومعنى ذلك أننا نستطيع معرفة تواريخ زيارته للأماكن التي رسَمَها.

واقترب «أحمد» من اللوحات وقال: هذه اللوحة الأولى التي يَظهر فيها جانب من قلعة كيرينيا كما قال عم «سرور» ... مكتوب عليها أنها رُسمَت عام ١٩٥١ ومعنى ذلك أن جوزيف كان يعيش في قبرص قبل حضوره إلى لبنان.

زبيدة: ولكنه قال إنه يُقيم في لبنان منذ ثلاثين سنة!

أحمد: إنَّ ذلك قد يكون للتمويه في قصة حياته، أو ربما يكون حضر أولًا إلى لبنان ثم ذهب إلى قبرص ثم عاد.

بو عمير: وماذا تتوقَّع أن نجد في كيرينيا؟

أحمد: لا أدري ... قد نجد زوجة «جوزيف» ... وقد نجد أدلة تعيننا على العثور عليها؛ فقد اختفَت دون أن تَترك خلفها أثرًا ... و«هانز» نفسه لا يعرف مكانها.

سرور: هل أُجهِّز تذاكر السفر؟!

أحمد: نعم ... لنا نحن الستة ... وأرسل إلى «قيس» و«مصباح» و«رشيد» للحضور من دمشق ليتولَّوا العمل في المقر.

إلهام: سأُرسِل تقريرًا إلى رقم «صفر» بهذه التطورات ونَستأذنُه في السفر.

وقامت «إلهام» لإرسال التقرير. وانهمَكَ بقية الشياطين في إعداد أنفسهم للسفر في اليوم التالي. وذهب «أحمد» إلى غرفة التقارير، ووضَعَ ورقةً أمام «إلهام» كتب فيها: بالإضافة إلى أنني أحبُّك ... أرجو إرسال تقرير إلى رقم «صفر» برقم تليفون «هانز» ليعرف مقرَّه ويُخطرَنا.

وابتسمت «إلهام» وهي تقرأ الورقة.

لم تكن هناك طائرة إلى قبرص قبل المساء ... وقضى الشياطين وقتهم في وضع ترتيبات العمل ... ووصل «مصباح» و«قيس» و«رشيد» ... وروى لهم «أحمد» بإيجاز ما توصل إليه الشياطين من معلومات، وطلب منهم مراقبة مقر «هانز» إذا استطاع رقم «صفر» الوصول إليه عن رقم التليفون.

وفي المساء توجَّه الستة إلى المطار ... وأقلعت الطائرة متجهة إلى قبرص ... وكانت «إلهام» تجلس بجوار «أحمد» ... و«هدى» بجوار «بو عمير» ... و«زبيدة» بجوار «عثمان» ... ودارت الأحاديث ...

قالت «إلهام»: أحسُّ بأنني في نزهة أكثر من إحساسي بالمغامرة ...

أحمد: هذا أفضل بالنسبة لي، فسوف أسمح لنفسي أن أُمسكَ بيدكِ هكذا.

وأمسك بيدها فوضَعها بين راحتيه ... وساد صمت عميق بينهما ... كان كلٌّ منهما رغم صوت الطائرة يشعر بدقات قلب الآخر ... ولكن هذا الإحساس الغامر بالحب لم يستمرَّ طويلًا ... فقد طافت المضيفة بعبوات العشاء البلاستيك ... وانفكَّ اشتباك الأيدي ... ومضت الطائرة على ارتفاع ٣٥ ألف قدم تشقُّ السماء في الليل الذي هبَط.

بعد نصف ساعة تقريبًا بدأت المضيفة تتحدَّث في مكبر الصوت: سيداتي سادتي ... نحن نقترب الآن من مطار نيكوسيا الدولي ... درجة الحرارة في نيكوسيا ٢٨ ... نرجو ربط الأحزمة والامتناع عن التدخين حتى تتوقَّف محرِّكات الطائرة ... نرجو أن تكونوا قد استمتعتم برحلتِكم على طائراتنا ... وأن نراكُم مرةً أخرى ...

وبدأت الطائرة الضخمة من طراز بويج ٧٠٧ تحوم فوق المطار، ونظرت «زبيدة» من النافذة ... كانت المدينة الصغيرة تَتلألأ بالأنوار ... وبدأت الطائرة هبوطَها وأخذت الأنوار تكبر وتكبر. وبدا لزبيدة أن الأرض تندفع في اتجاههم ... ثم دارت الطائرة دورتها الأخيرة، وأنزلَت عجلاتها ... ولمست أرض المطار ... ثم مضت تجري على المدرَّج الممهَّد الناعم، ودارت مرة أخرى على الأرض ثم توقفت ...

وخرج الشياطين الستة إلى أرض المطار ... ومن اللحظة الأولى أحسَّ الشياطين أنهم مقبلون على مغامرة مُثيرة ... فقد كانت الجبال تُحيط بالمدينة الصغيرة من كل جانب غامضةً ساكنة محيرة ... واستقلُّوا سيارة شركة الطيران إلى المدينة الصغيرة، وكان الطريق أطول مما تصوَّروا.

وقال «عثمان» معلقًا: إن المرور على النظام الإنجليزي ... اتجاه اليسار وليس اليمين كما هو الحال عندنا ... ومعنى هذا أنني لو قدت سيارة فسوف أرتكب عشرة حوادث على الأقل قبل أن أتعلَّم.

ووصلُوا إلى فندق «كارلتون» ... وألقَوا حقائبهم بجوارهم، وقال «بو عمير»: ها قد وصلنا قبرص ... ماذا بعد ذلك؟

أحمد: سنَبحَث عن زوجة «جوزيف».

قال «عثمان» بمرح: هل سنَسير في الشوارع نُنادي على زوجة «جوزيف»؟

أحمد: قد نُضطرُّ إلى أن نفعل ذلك.

وضحك الشياطين، ولكن «زبيدة» قالت: ما هي خطتنا القادمة؟

أحمد: السؤال عن رجل يُدعى «جوزيف سليم» كان يُقيم في كيرينيا سنة ١٩٥١.

هدى: الحقيقة إننا نبحث عن المُستحيل.

أحمد: لن نخسر شيئًا، وفي استطاعتنا أن نعود بعد يومَين ونتابع خطوات «هانز» ... وإن كنت أعتقد أن «هانز» لا يعرف شيئًا بدليل ما حدث حتى الآن ...

إلهام: ما رأيكم في جولة سريعة في المدينة نتعرَّف فيها على حياة الناس ... ونسأل هنا وهناك.

ووافَقَ بقيَّة الشياطين على الفور ... وسرعان ما كان الستَّة يَنزلون إلى الشارع الرئيسي في المدينة، وقال «أحمد» ملاحظًا: إنه يُشبه أيَّ شارع في بيروت أو الإسكندرية ... المقاهي ... وصوت زهر الطاولة ... والضحك ... والشاي.

قالت «زبيدة»: والمغامرة تُشبه أي مغامرة أخرى ... فإنني أحسُّ أننا متبوعون!

قال «أحمد»: أعتقد ذلك ... لقد نسينا أن «هانز» يعرف عنواننا عن طريق «كريم» ولا بد أنهم تبعونا في الطائرة.

كانوا يتحدثون وهم يسيرون كأنهم لا يلاحظون شيئًا، وفجأةً توقف «أحمد» أمام محل لبيع الساعات والمجوهرات ... وكانت فترينتُه الزجاجية اللامعة تَعكِس ما في الشارع من حركة ... وعرف الشياطين ما يقصده «أحمد» ... فتركوا فراغًا بينهم يَسمح لمن خلفهم أن يظهر. وفعلًا انعكست صورة رجل يقف على مبعدة متظاهرًا بإشعال سيجارة.

قال «أحمد»: نريد استئجار سيارة فورًا!

واستوقف «أحمد» أحد المارة وسأله عن مكان لتأجير سيارة ... وبعد أن دلَّه الرجل قال «أحمد»: سنَنقسم إلى قسمين ... أنا و«بو عمير» و«عثمان» ... و«هدى» و«إلهام» و«زبيدة» ... سنركب نحن السيارة واستمرُّوا أنتنَّ في تجولكن.

عثمان: ماذا تَنوي أن تفعل؟

أحمد: سنقوم ببعض الألعاب البهلوانية.

إلهام: سنعود بعد العشاء إلى الفندق، فسوف نتعشَّى في الخارج.

أحمد: عظيم ... وسنعود إليكنَّ بعد ساعتَين على الأكثر ... فإذا تأخَّرنا حتى الصباح. فاتصلن بالمقر، واطلُبوا حضور بقية الشياطين.

ووصلوا إلى محلٍّ تأجير السيارات ... واختار «أحمد» سيارة خفيفة من طراز «أوبل»، ثم قفز إليها ومعه «عثمان» و«بو عمير» ... وقال «أحمد»: هل مع أحدكما سلاح؟

هز «عثمان» كرته المطاط، وربت «بو عمير» على جانب بطنه حيث كان يضع مسدَّسًا أتوماتيكيًّا سريع الطلقات.

انطلق «أحمد» بالسيارة ... كانت القيادة على الجانب الأيسر من الطريق مشكلةً صعبة في البداية، ولكن بعد مسيرة فترة كان كلُّ شيء على ما يُرام، وكان «بو عمير» يجلس في المقعد الخلفي، مُلقيًا بصره إلى الخلف، وسرعان ما قال: سيارة مرسيدس بيضاء تتبعُنا فيها ثلاثة رجال ...

هز «عثمان» كرته المطاط وقال: واحد فقط لي ... هذا لا يكفي!

كان «أحمد» يقود السيارة بسرعة على الطريق من نيكوسيا العاصمة إلى البحر. وكانت المسافة لا تزيد عن خمسة عشرة كيلومترًا ... وسرعان ما شمُّوا رائحة البحر ... ثم لمعت الأمواج تحت النجوم.

اختار «أحمد» ركنًا قصيًّا من الشاطئ ... ثم أوقف السيارة في مواجهة البحر، وقال «بو عمير»: لقد توقفت المرسيدس البيضاء أيضًا، ولكنَّهم أخفوها خلف تلٍّ مُرتفع ...

وجلس «أحمد» في السيارة هادئًا لحظات ثم ابتسم، وأضاء نور السيارة، ثم أخذ يضيئه ويُطفئه بين لحظة وأخرى ... وبعد أن كرر العملية تسع مرات، التفت إلى «بو عمير» وقال: أريد طلقة مسدس في الفضاء.

بو عمير: قد تَلِفت الأنظار!

أحمد: لا تخف ... نحن بعيدُون عن العمران، ثم إننا سنبتعد بعد قليل.

أخرج «بو عمير» مسدَّسه، ثم رفعه إلى فوق وأطلق رصاصة دوت في الصمت وبعدها انطلقوا بالسيارة مسرعين.

قال «عثمان»: إنني لا أفهم ... ماذا تفعل يا «أحمد»؟!

قال «أحمد» مبتسمًا: بعض الألعاب البهلوانية كما قلت لك!

عثمان: نريد أن نشتبك معهم، ودعْكَ من البهلوانية ...

أحمد: إننا نُريد أن نُدوِّخ الفأر قبل أن يقع في المصيدة ...

واندفع «أحمد» بالسيارة مسرعًا على طول الشاطئ ... ومن بعيد بدت السيارة المرسيدس قادمة خلفهم ... وفجأةً صعد «أحمد» في الجبل بالسيارة. ودار دورة واسعة، ثم أوقف المحرِّك على منحدَر، وترك السيارة تَسير بقوة الاندفاع دون أن يَصدُر عنها أي صوت.

«عثمان» يرقص ... ويضرب

قال «بو عمير» والسيارة تَنحدِر في بطء: هل أنت متأكِّد أنهم من أعوان «هانز»؟

أحمد: أُرجِّح ذلك ... فلا أحد يَعرفنا في الجزيرة ... على كل حالٍ سنُجري بعض التجارب الآن.

ودار «أحمد» بالسيارة في مُنحنًى واسع ثم أوقفها، وأشار لـ «بو عمير» و«عثمان» بالنزول، فنزَلا، واختار الثلاثة صخرة ضخمة اختفوا خلفها ... وبعد لحظاتٍ سمعوا صوت السيارة المرسيدس مقبلة، وسارت أمامهم وقد أضاءت أنوارها. وقال «أحمد» مسرعًا: «بو عمير» رصاصة واحدة في الإطار الخلفي.

وكالبرق أخرج «بو عمير» مسدَّسه ... وانطلقت الرصاصة ... وسمع في الصمت صوت الإطار المنفجر، وأخذت السيارة الضخمة تترنَّح، وقائدها يحاول السيطرة عليها، وأشار «أحمد» إلى «بو عمير» و«عثمان» وانطلقوا جميعًا كالأشباح في الظلام حتى اقتربُوا من السيارة التي توقفت. ونزل ركابها الثلاثة وقد أخرجوا مسدساتهم وأخذوا يُحدِّقون في الظلام، وهز «عثمان» كرتَه الجهنمية، وأحنى «أحمد» رأسه علامةَ الموافَقة، وانطلقت الكرة كالقذيفة، وترنَّح أحد الرجال الثلاثة وسقط على الأرض، وبدا الرجلان الباقيان كأنَّهما قد فقَدا عقلَيهما؛ فقد سقط الثالث دون أن يسمعا طلقة رصاص ... ودون أن يظهر أحدٌ بجوارهما على الإطلاق ... ثم انحنى أحدهما على الرجل الذي سقط وأخذ يُقلِّبه كأنما يبحث عن شيء فيه ... ثم تحدثا قليلًا، وبدءا يَفُكَّان الإطار المنفجر لاستبداله بعد أن وضَعا زميلهما المُغمَى عليه في السيارة.

كان أحدهما يعمل والآخر يُراقب ... ومرَّت سيارة مسرعة ... فتظاهرا بالانهماك في العمل.

كان «عثمان» يَرقُب كرته المطاط في الظلام ... وكانت التجارب قد علَّمته أن يضع في أحد جوانبها دائرة صغيرة من الفسفور المُضيء، ليستطيع رؤيتها في الظلام ... وقد استطاع أن يراها بجوار جذع شجرة ... فتسلَّل بهدوء وعاد بها دون أن يحسَّ أحد، وهزَّها مرةً أخرى في يده ... وأحنى «أحمد» رأسه علامة الموافقة، وانطلقت الكرة للمرَّة الثانية ... وللمرة الثانية سقط الرجل الثاني على الأرض ... والتفَتَ الرجل الذي كان يستبدل الإطار على صوت سقوط زميله ... وأخرج مسدَّسه ... ودون وعي أخذ يطلق الرصاص في كل اتجاه دون أن يرى أحدًا ... وابتسم الشياطين الثلاثة ... وانتظر «عثمان» حتى فرغ الرصاص من مسدس الرجل، ثم انحنى ومضى مسرعًا إلى حيث كانت كرتُه الجهنمية قد تدحرجت على سفح الجبل ... وبدأ ينزل ... وهوت صخرة صغيرة تحت قدمه وأحدث دويًّا في الصمت، وسمع الرجل الواقف الصوت ... وأسرع في اتجاهه وقبع «عثمان» مكانه وقد اختفى لونُه الأسمر في سواد الليل والصخور ... واقترب الرجل الذي أعاد حشو مسدَّسِه ... وتركه «عثمان» يَقترب حتى أصبح على مسافة قريبة منه ثم قفَز كالزنبرك، ورفَع اليد المُمسكة بالمسدَّس بيده اليُسرى إلى فوق، وبيده الطليقة وجه لكمةً هائلة إلى الرجل ترنَّح على أثرها وسقط.

عندما ظهر «عثمان» بجوار الرجل ... شاهد «أحمد» و«بو عمير» يُفتِّشان الرجل الواقع بجوار السيارة فأسرع إليهما، وعلى ضوء بطارية صغيرة استطاع الثلاثة أن يَعرفوا أن الرجل يُدعى «كارل» ... وقال «أحمد» إنه من أعوان «هانز» ويبدو أنه لا يَثق إلا ببني جنسه من الألمان.

بو عمير: ما رأيكما أن نُجرِّدَهم من جوازات السفر، ونُقيِّدهم في داخل السيارة ...؟ إنهم سيقعون في مشاكل مع سلطات قبرص تَشغلُهم عن مطاردتنا!

وافق «أحمد» ... وسرعان ما كان الرجال الثلاثة مكوَّمين في السيارة، وقد رُبطُوا جميعًا في حبل واحد.

عاد الشياطين الثلاثة إلى سياراتهم ... وانطلقت بهم وقال «عثمان»: ماذا كنت تقصد من إشارات النور على الشاطئ ... وطلقة المسدس؟

أحمد: كنتُ أريدُهم أن يعتقدوا أن لنا أعوانًا في البحر. فإن ذلك سيُشتِّت جهودهم!

عثمان: والآن؟!

أحمد: أعتقد أنهم سيعودون إلى وَعيهم قبل الصباح ... وأنهم سيُخبرُون «هانز» بما حدث ... وسوف يَرتبِك ولا يدري ماذا يفعل ... ولعله يَضع رقابة محكمة على الشاطئ.

بو عمير: عندي فكرة ... إننا الآن غير مُراقبين، وهي فرصتنا للذهاب إلى كيرينيا لنُلقيَ نظرة على المكان الذي جئنا من أجله.

أحمد: موافق ... إنه اقتراح عملي للغاية ... وإن كان الوقت متأخِّرًا ولن نجد من نسأله عن «جوزيف».

بو عمير: المُهم أن نُلقيَ نظرة على ميدان الصراع ونحن غير مراقَبين.

زاد «أحمد» من سرعة السيارة، وبدأ يتجه شمالًا إلى كيرينيا ... ميناء قبرص القديم حيث كان القراصنة يَجدون مأوًى بعيدًا عن العيون.

استمرت الرحلة نحو ساعة ونصف، وأشرفوا في النهاية على الجبل المرتفع الذي يَحتضِن الميناء الصغير ... ورغم أن الساعة كانت قد أشرفت على منتصف الليل، فقد شاهَدُوا أنوار بعض المقاهي والكازينوهات الساهرة، وقال «أحمد»: إن قبرص جزيرة سياحية ومن المؤكد أننا سنَجدُ مَن نتحدَّث إليه.

ومضَتِ السيارة منحدرةً إلى حيث الميناء ... وركن «أحمد» السيارة قرب كازينو كانت تتصاعد منه موسيقى راقصة ... ودخل الثلاثة ... كان أسعدهم «عثمان» عندما شاهَدَ حلقة رقص قد انهمك فيها عدد من الشبَّان والفتيات.

اختار الثلاثة مائدة قريبة من حلقة الرقص، وجلسوا، وسرعان ما جاء الجرسون فطلبوا بعض المشروبات ... وأخذوا يتأمَّلون الكازينو من الداخل ... كان معدًّا على شكل سفينة ... والموائد على شكل براميل ... وكل شيء فيه يُوحي بالجو القديم للقراصنة ...

شعر الشياطين الثلاثة بسعادة غامرة في هذا الجو ... ولكن هذه السعادة لم تستمرَّ طويلًا ... فقد اختار «عثمان» فتاة شقراء لِيَرقُص معها ... وكان «عثمان» راقصًا ماهرًا ... سرعان ما أوسع له بقية الراقصين مكانًا بينهم ... وشيئًا فشيئًا سيطر على حلقة الرقص ...

ولكن فجأةً اندفع من بين الجالسين شابٌّ ضخم الجثة ... كان واضحًا أنه ليس في حالة طبيعية، واقترب من «عثمان» سريعًا، ثم جذبه من كتفه بخشونة واضحة ... وتوقف بقية الراقصين ... بينما استمرَّت الموسيقى تَعزف ... واستدار «عثمان» للشاب الذي جذب الفتاة بشدة ... ومدَّت الفتاة يدها تستغيث بـ «عثمان» ... فقال «عثمان»: أرجو أن تهدأ.

وبدلًا من أن يهدأ الشاب أو يتحدَّث إلى «عثمان»، وجه إلى وجه «عثمان» لكمةً هائلة ... ولكن «عثمان» انحنى يسارًا ... فطاشت الضربة وترنَّح الشاب وكاد يسقط ... فمدَّ «عثمان» يده ليُسنده ... وبدلًا من أن يتوقف الشاب الهائج عند هذا الحد، مدَّ يده إلى

خصره وأخرج خنجرًا لامعًا وهجم على «عثمان»، ولكن «عثمان» انحرف مرة أخرى ... ووقف الاثنان، «عثمان» الأعزل ... والشاب بخنجره ... ومال «بو عمير» على «أحمد» قائلًا: هل نتدخَّل؟

أحمد: انتظر قليلًا، واترك فرصة لـ «عثمان» ليتدرَّب مع هذا الثور الهائج.

وقف «عثمان» والشاب وجهًا لوجه، وقد أحنى كلٌّ منهما رأسه كأنَّهما ديكان يتصارعان وتوقَّفَت الموسيقى ... وران على المكان صمت عميق ... وفجأةً قفَز الشاب محاولًا إصابة «عثمان» ... ولكن «عثمان» غيَّر مكانه بسرعة ثم قفَز إلى فوق. وطارت قدمُه في ضربة موجعة أصابت الشابَّ في بطنِه ... وقبل أن يَتمكَّن من استعادة توازنِه كان «عثمان» قد انقضَّ عليه وأمسك يده التي كانت تقبض على الخنجر، ولوى ذراعَه إلى الخلف، ثم ضربه بقدمه في ظهره، فسقط على الأرض، وطار الخنجر بعيدًا ... وبدأ الشاب يُحاول الوقوف.

في هذه اللحظة اقتحم المكان رجلان من رجال الشرطة، فأفسح لهما الجميع طريقًا، وقال أحدهما وهو يُنهِض الشاب: هذا يكفي يا «بوز»! ولكن «بوز» — وهو اسم الشاب — أزاح يد الشرطي بعيدًا، وأخذ ينظر إلى «عثمان» نظرات يَتطايَر منها الشرر.

وجاء صاحب الكازينو وطلب من الشرطيين إبعاد «بوز» وقال: إنه يُسبِّب له المتاعب كل ليلة!

وكان واضحًا من الحديث أن «بوز» يتمتَّع بحماية ما، وأنه لا يخشى شيئًا.

نادى «أحمد» «عثمان» فعاد إلى مقعدِه، وعادت الموسيقى للعزف، وجلس «بوز» في آخر الكازينو ومعه بعض رفاقه، وبدا واضحًا أن الليلة لن تمرَّ بخير، وأن «بوز» ومجموعته ينوون الانتقام من «عثمان».

لم يكن الشياطين الثلاثة يَخافون الاصطدام بـ «بوز» ومن معه ... ولكنهم لم يكونوا على استعداد لإضاعة وقتهم في صراعٍ ليس له أهمية، ولا يخدم الغرض الذي جاءوا من أجله.

عادت الموسيقى ترتفع، والرقص يدور، وكان الشياطين الثلاثة يُتابعون الرقص وهم يَبتسمُون، ولكن «أحمد» كان يفكر في طريقة للخلاص من «بوز» هذا، وبدا له الاسم غريبًا، وأغرب منه هذا الاستهتار الذي أبداه «بوز» لرجلَي الشرطة.

ومال «أحمد» على «بو عمير» وقال: سنُحاول الانسحاب بهدوء.

بو عمير: وإذا حاول هذا الـ «بوز» ومن معه الاشتباك معنا؟

أحمد: لن يكون أمامنا إلا تأديبهم بشدة!

ودفع «أحمد» الحساب، واجتاز الشياطين الثلاثة صفوف الجالسين الذين كانوا ينظرون إليهم بمزيد من الاحترام والأسى، ولاحَظَ «أحمد» النظرات، وأدرك أنهم يُواجهون خصمًا طاغية.

خرج الثلاثة إلى هواء الليل البارد وبدءوا سَيرهم ناحية سيارتهم. وبعد أن ساروا قليلًا أحسُّوا بأصوات أقدام تتبعُهم ... لم يكن هناك أحد سائرًا على الشاطئ الصَّخري في هذه الساعة المتأخِّرة من الليل ... وكان تفكير «أحمد» أن يكون الصراع بينهم وبين «بوز» ومن معه بالاشتباك بالأيدي ... وليس بطلقات الرصاص، فلم تكن معهم أسلحة كافية من ناحية ومن ناحية أخرى لم يكن يُريد أن يتورَّط في قتل أحد ... أو يفقد أحد الشياطين.

قال «أحمد» فجأةً: أمامنا صخرة، سنلفُّ حولها، ونقف!

وتقدموا وأصوات الأقدام ترتفع خلفهم، واستدارُوا خلف الصخرة، وألقى «أحمد» نظرة سريعة على القادِمين كانوا خمسة ... وتوقَّف الشياطين الثلاثة خلف الصخرة، وقال «أحمد» لـ «بو عمير»: أسرع أنت إلى السيارة، أدر المحرِّك ثم اقترب منا.

وأسرع «بو عمير» لتنفيذ ما قاله «أحمد»، وفي هذه اللحظة وصل الخمسة إلى الصخرة، وقف «بوز» في وسطهم وقد وضع قدمه على نتوء بارز، ووضع يدَيه حول خصره ... كانت وقفة تحدٍّ واضح فقال «أحمد» بهدوء: أنصحك يا «بوز» أن تعود أنت ومن معك ... لا داعي لإثارة المتاعب.

قال «بوز»: أريد هذا الولد ... لقد أهانني ... قال هذا وهو يُشير إلى «عثمان» ... فقال «أحمد» وهو ما زال متمالكًا لأعصابه: إن صديقي يُدعى «عثمان» ... ولا داعيَ لأن تُهينه؛ فقد يُضطر إلى وضع أنفك في التراب.

كان «عثمان» يهزُّ كرته المطاط الجهنمية في يده ... وكان يدرك أن ضربة منها على مسافة قريبة في رأس «بوز» سوف يبقى بعدها طريح الفراش أيامًا طويلة ... وربما لن يستعيد توازنه بعدها أبدًا ...

وبدأ الخمسة يقتربون من «عثمان» و«أحمد» أكثر ...

الحديث في سيارة

كان «بو عمير» عندما وصل إلى السيارة قد وجد مفاجأة في انتظاره ... لقد أفرغت الإطارات الأربعة من الهواء وأصبحت السيارة غير صالحة للسير ... وعاد «بو عمير» مسرعًا والخمسة يقتربون من «أحمد» و«عثمان» وقد أشهروا خناجرَهم، وقبل أن يُشهر «بو عمير» مسدسه حدث الاشتباك، قفز «أحمد» في الهواء ... وبضربتَين بارعتَين من قدمه سقط اثنان من المهاجمين بينما انطلقت كرة «عثمان» في ضربة داوية أصابت أحد الثلاثة الباقين ... ثم وجَّه لكمةً لواحد من الاثنين، ونزل «أحمد» من قفزته على صخرة صغيرة، فأصيب بالتواء في قدمه ووقع على الأرض، وانقضَّ عليه الشاب الباقي، بينما وقف الثلاثة الذين أصيبوا، عدا الرابع الذي أصابته كرة «عثمان» فلم يقف بعدها.

أسرع «بو عمير» ينضم إلى الصراع الدائر ... وكان في إمكان الشياطين الثلاثة أن يحسموا الصراع سريعًا، ولكن ما حدث لم يكن في الحسبان، أقبلت سيارة مسرعة أضاءت بأنوارها ميدان المعركة، ثم توقَّفت على مقربة، وفرقع صوت مدفع رشاش في يد رجل قال بصوت مُرتفِع: هذا يكفي يا «بوز»!

قال «بوز» ساخطًا: ما الذي جاء بك؟

رد الرجل: لقد اتَّصل شخص تليفونيًّا بأبيك وقال إنك ستُثير المتاعب هذه الليلة، وقد أمرني أن أُحضرَك فورًا.

توقف الصراع وقال «بوز» مُهدِّدًا: أنصحكم أن تُغادرُوا الجزيرة فورًا، إنني لن أترككم!

وانسحب الأربعة بعد أن حملُوا الخامس الذي أصابتْه كرة «عثمان» الجهنمية.

كانت إصابة «أحمد» تعوقُه عن الوقوف ... فتمدَّد على الأرض مُمسكًا بقدمه الملتوية.

وقال «بو عمير»: لقد أفرغوا إطارات السيارة ... ولن نتمكَّن من العودة بها. سأذهب إلى الكازينو وأبحث عن تاكسي.

أحمد: سنَنتظرُك. فلا تتأخر!

انصرف «بو عمير» وبقي «عثمان» بجوار «أحمد» بعد أن عثَر على كرته ... قال «عثمان»: هل إصابتك خطيرة؟

أحمد: لا أعتقد ... إنها مجرَّد التواء في مفصل القدم ... سأَعرج يومًا أو يومَين ثم يعود كل شيء إلى حاله.

عثمان: آسفٌ جدًّا لإثارة هذه المتاعب.

أحمد: لقد كان هذا الـ «بوز» يستحقُّ هذه العلقة التي أعطيتَها له ... ولولا رغبتي في قصر المعركة عند حد ... لتركتُكَ تمسح به الأرض.

عثمان: كنتُ أتمنى أن أصيبه بكرة في رأسه ... لينسى غروره إلى الأبد.

أحمد: لقد حطَّمتَ غروره أمام كل الناس، وقد لاحظتُ أنهم كانوا سعداء بما فعلت، ويبدو أنه مكروهٌ جدًّا في هذه الأنحاء.

سمعا صوت سيارة تَقترب، ثم توقفت أمامهما، ونزل «بو عمير»، وساعد «عثمان» «أحمد» على المشي حتى السيارة ... كانت سيارة قديمة، يقودها سائق عجوز يضع في طرف فمه سيجارًا رفيعًا أسود.

وركب الثلاثة، وبدأت السيارة تقفز فوق الطريق كالإوزة العرجاء، ونظر «أحمد» إلى السائق، كانت تبدو على ملامحه الطيبة فقال له: هل تعرف المدعو «بوز» هذا؟

ردَّ الرجل وسيجاره يلعب في طرف فمه: كل مَن هنا يعرفه.

أحمد: ما هو معنى «بوز»؟

السائق: إنها كلمة تركية تعني الذئب.

عثمان: إنه اسمٌ ينطبق عليه!

السائق: من الأفضل على كل حالٍ أن تبتعدوا عنه ... إن والده أغنى رجل في الجزيرة ... وله أعوانٌ كثيرون ... واعتمادًا على ثراء والده ونفوذه يقوم «بوز» بدور البلطجي ... في الجزيرة كلها ... وكل الناس يَتحاشَونه.

أحمد: وما هو عمل والده؟

تردَّد السائق قليلًا ثم قال: إنه يملك أسطولًا من سفن الصيد ... ولكن ثروته لا تقف عند هذا الحد ...

بو عمير: لقد هدَّدَنا بأنه سيطاردنا ... هل يفعل ذلك؟

ابتسم السائق العجوز ثم قال: إنه لن ينسى لزميلكم الأسمر ما فعله به ... فهذه أول مرة يتجرَّأ شخص على ضرب «بوز»!

أحمد: هل شاهدتَ المعركة؟

السائق: نعم ... كنت أقف بجوار الباب وشاهدتُ كل شيء ... إن زميلكما الأسمر غاية في القوة والمرونة ... وسيكون غدًا حديث الجزيرة كلها.

قال «بو عمير» موجهًا إلى «عثمان»: لقد أصبحتَ بطلًا أيها الشيطان!

عثمان: إنني بطل رغم أنفه ... فلستُ أحب المعارك مع أطفال ... من أمثال هذا الـ «بوز»!

ومضت السيارة العجوز تشقُّ طريقها في اتجاه نيكوسيا العاصمة ... وتفكَّر «أحمد» ما جاءوا من أجله فقال للسائق: هل تَعمل هنا منذ فترة طويلة؟

قال السائق العجوز: منذ أربعين سنة أو تزيد.

أحمد: لم تسمع مطلقًا عن شخص يُدعى «جوزيف سليم»؟

نظر السائق فترة طويلة ثم قال: لا أظنُّ أنه في الجزيرة من يُدعى بهذا الاسم.

عاد الصمت يلفُّ السيارة من جديد، ثم عاد «أحمد» يسأل: لقد كان هنا منذ فترة طويلة.

السائق: لا أذكر.

أحمد: لقد كان رسَّامًا ... وقد رسم بعض اللوحات لقلعة كيرينيا ...

عاد السائق إلى التذكُّر ... ولم يَعُد هناك سوى صوت المحرِّك القديم وهو يُكركر في الصمت. وعدل السائق سيجاره في فمه ثم قال وهو يتنهَّد: إن عددًا كبيرًا من الفنانين يأتي إلى الجزيرة ولكنَّني لا أعرفهم.

أحسَّ «أحمد» بالضيق ... فقد ضاعت ليلة في صراع لا معنى له ... بل ربما كان حضورهم أصلًا إلى الجزيرة بلا جدوى ... وبدأت أضواء العاصمة تبدو من بعيد والسيارة تمضي في طريقها بمشقة ... حتى وصلوا إلى فندق «كارلتون»، حيث ينزل الشياطين، ثم نقدُوا السائق أجره وشكروه.

وقبل أن يُغادر «أحمد» السيارة مُتحاملًا على نفسه بسب مفصلِه المُلتوي، قال السائق العجوز فجأةً: هل من المهم جدًّا أن تعرفوا شيئًا عن هذا الرجل الذي تسألون عنه؟

قال «أحمد»: نعم ... إنَّ هذا يُهمنا للغاية.

قال السائق: اسألوا «باتساليدس».

أحمد: من هو «باتساليدس»؟

السائق: كل الناس في الجزيرة تعرفه، إنه صديق كل الفنانين الذين يأتون إلى الجزيرة. وهو تاجر يَبيع ويَشتري كل شيء خاصةً الأشياء الجميلة، ومنزله قرب فندق «بنجاريا» أعلى قمة في قبرص.

أحمد: لماذا لا تأتي غدًا لاصطحابنا إليه؟

ابتسم الرجل العجوز، ونحَّى سيجاره لأول مرة جانبًا، ثم قال مشيرًا إلى سيارته: هذا الحصان العجوز لا يستطيع الوصول إلى قمَّة بنجاريا، إنكم تحتاجون إلى سيارة قوية.

شكر «أحمد» السائق، ووضع في يده بقشيشًا مُضاعفًا، ثم تساند على «عثمان» واتجه الشياطين الثلاثة إلى غرفتهم الواسعة ... ولم يكد «أحمد» يستلقي على الفراش حتى ظهرت الفتيات الثلاث ... وأسرعت «إلهام» إلى «أحمد» الذي كان واضحًا عليه الألم ولكنَّه ابتسم لها مُشجعًا وقال: لا شيء ... مفصل مُلتوٍ فقط.

جاءت «زبيدة» بأدوات الإسعاف التي لا تَتركها، وسرعان ما كانت تدلك موضع الإصابة وتضع عليها شريطًا لاصقًا. في نفس الوقت الذي كان «أحمد» يقصُّ عليهنَّ فيه ما حدث في الساعات الخمس التي قضَوها في كيرينيا.

وقالت «هدى» مُبتسمة: قام «عثمان» إذن بدَور روميو.

أحمد: لا ... لقد قام بدور درتانيان في الفرسان الثلاثة ... فكان عاشقًا ومحاربًا وفارسًا يَجذب الانتباه.

وبعد فترة من الأحاديث المتبادلة ... اتَّفق الشياطين أن يذهبوا في اليوم التالي للبحث عن «باتساليدس».

وفي الصباح الباكر أسرع «بو عمير» إلى محل السيارات التي استأجروا منه السيارة الأوبل وأخطرهم بمكان السيارة في كيرينيا، ودفع مبلغًا إضافيًّا، وتسلَّم سيارةً قوية، من طراز بونتياك، وسرعان ما كانت تصعد بهم سلسلة الجبال إلى قمة بنجاريا حيث يقع منزل «بتساليدس»، ولم يجدوا كبير عناء في الوصول إليه ... فكل الناس فعلًا في هذه المنطقة كانوا يعرفون التاجر الشهير.

وعندما توقفت البونتياك في هذه الساعة المبكرة من الصباح ... عرَف الشياطين أنهم كانوا أول زبائن «باتساليدس» ... فقد كان ثمَّة رجل يَجلس في ظل شجرة يُطالع في كتاب قديم ... ولم يكد يسمع صوت وقوف السيارة حتى التفتَ ناحية الشياطين مبتسمًا.

قال «أحمد»: أعتقد أنه الرجل الذي جئنا من أجله.

ووقف الرجل العجوز ذو الشعر الأبيض مُبتسمًا ... وتقدم منه الستة، و«أحمد» يعرج خفيفًا ... وبعد أن تبادَلُوا التحية منه قال: هل تشربون شيئًا؟

قالت «إلهام»: شايًا إذا أمكن؟

رمقها الرجل بنظرة مُعجبة وقال: كل شيء مُمكن يا جميلتي ... هل أنت من لبنان؟

ابتسمت «إلهام» مندهشة وقالت: كيف عرفت؟

رد «باتساليدس»: ليس هناك بلدٌ في هذا العالم خاصة في العالم العربي لم يرها «باتساليدس» ... إن لي زبائن في كل الدنيا.

وصفَّق «بتساليدس» وظهرت سيدة عجوز ظريفة على باب المحلِّ الكبير الذي كان يشغل الدور الأرض من منزل التاجر وقال «باتساليدس» لها: شاي لسبعة لو سمحت.

واختفت العجوز والتفت «باتساليدس» إليهم فقال «أحمد»: لقد جئنا ...

وقاطعه «باتساليدس» ضاحكًا: لن نتكلم في العمل الآن ... سنشرب الشاي أولًا ثم ندخل المحل.

ودار حديث ضاحك بين التاجر الفنان، وبين الشياطين ... وكان «أحمد» يقود الحديث بمهارة في اتجاه الهدف الذي حضروا من أجله ... ودون أن يوضح ماذا يُريد بالضبط ... وجاء الشاي مع بعض الشطائر الصغيرة اللذيذة ... ثم آنَ الأوان لدخول المحل.

كان المحل واسعًا ... تَحتشِد فيه آلاف الأشياء ... لوحات ... فساتين من طراز قديم ... لعب أطفال من أنواع نادِرة ... أطباق ... سجاجيد ... غلايين ... سيوف ... خناجر ... مسدسات قديمة ... وأخذ الشياطين ينظرون في كل اتجاه ... وتسمرت عينا «زبيدة» عند لوحة اختفى جزء كبير منها خلف فستان من الحرير الأزرق ... وانتهزت فرصة انشغال «باتساليدس» بالحديث مع «بو عمير» عن مسدس من طراز نادر ... ثم أشارت إلى «أحمد» أن ينظر إلى اللوحة ... ونظر «أحمد» إلى حيث أشارت «زبيدة» وأدرك أنها على حق ... فلم يكن هناك شكٌّ أن الرسام الذي رسمها هو نفس الرسام الذي حملُوا لوحاته الخمس من الفيلَّا الأنيقة على شاطئ خلده في لبنان ... كانت لوحة لمشهد طبيعي عن قبرص بريشة «جوزيف سليم» وهذا ما كان يبحث عنه الشياطين الستة.

قريب من السر ... وبعيد عنه

بهدوء ... اتجه «أحمد» إلى اللوحة فأخرجها من خلف الفستان ... كانت تُؤلِّف مشهدًا طبيعيًّا لقمة بنجاريا والثلوج تحيط بها، وكان لها نفس الطابع الذي لبقية اللوحات.

وكالمعتاد كان هناك تاريخ اللوحة ... ١٩٥١، ولكن الاسم الذي كان عليها لم يكن «جوزيف سليم» ... كان اسمًا مختلفًا، تأمله «أحمد» واستطاع أن يقرأه ... «فالتر» ... مرةً أخرى اسم ألماني صميم.

والتفَتَ «أحمد» إلى «باتساليدس» قائلًا: قمة بنجاريا.

باتساليدس: نعم ... كما كانت من عشرين سنة أو أكثر.

أحمد: لم تتغيَّر كثيرًا.

باتساليدس: الطبيعة لا تتغيَّر ... ربما تتغير ببطء.

أحمد: رسَّام لا بأس به.

باتساليدس: كان هاويًا فقط ... فلم يكن محتاجًا، وكان يقضي أغلب وقته منفردًا أو مع صديقه ساكن القلعة.

ولم يُكمل «باتساليدس» جملته، فقد دقَّ جرس التليفون، وأسرع «باتساليدس» يرد ... لاحظ «أحمد» على الفور تغيير ملامح «باتساليدس» بعد كل كلمة ... ولاحظ الشياطين أنه وهو يتحدث ينظر إليهم. ولم يشكُّوا لحظة واحدة أن المكالمة كانت تدور حولهم. فمن المتحدث؟ انتهى «باتساليدس» من المكالمة ووضع السماعة. وانقلب الرجل المرح المُجامِل إلى رجل آخر ... ولكن «أحمد» حاول أن يستمر في المناقشة التي قطعتْها المكالمة التليفونية.

أحمد: كنتَ تُحدثنا عن هذه اللوحة.

باتساليدس بجمود: اللوحة ... نعم ... إنها لا قيمة لها!

أحمد: وصاحبُها وصديقه ساكن القلعة؟

قال «باتساليدس» وهو يمدُّ يده إلى اللوحة ويضعها جانبًا: آسف جدًّا ... إنني مرتبط بموعد مهم ... وسأُغلِق المحل الآن ... ويمكنكم العودة في وقت آخر.

تبادل الشياطين الستة النظرات ... كان في إمكانهم أن يستخدموا الخشونة مع التاجر وأن يحملوه على الحديث ... ولكنَّهم كانوا يكرهون أن يخوضوا صراعًا ضد رجل وحيد عجوز ... قد تكون عنده أسباب قوية للصمت!

قال «أحمد» موجهًا حديثه إلى «باتساليدس»: ساكن القلعة هو الذي كان يُحدثك؟ لم يردَّ «باتساليدس»، ولكن الشحوب الذي غطَّى وجهه كان ردًّا كافيًا على سؤال «أحمد».

غادر «باتساليدس» المحل مُسرعًا ... وخرج خلفه الشياطين الستة، واتجهوا إلى سيارتهم، ثم وقفوا حولها يتحدثون فقالت «إلهام»: من المؤكَّد أننا نسير في الطريق الصحيح ... لقد كانت ملاحظة «أحمد» حول اللوحات الخمس صحيحة ... المهم الآن أن نعرف ما هي القلعة، ومن هو ساكنها المخيف؟

بو عمير: من الواضح أن القلعة هي قلعة كيرينيا التي صوَّرَها جوزيف في لوحاته ... أما من هو ساكنها الذي يخشاه «باتساليدس» فهذا ما يجب أن نعرفه.

أحمد: بالمناسبة إن «جوزيف» له اسم آخر ... اسم ألماني صميم ... «فالتر»!

زبيدة: هذا معقول جدًّا ... ألم يكن أحدَ بحَّارة الغواصة الألمانية التي نُسفَت عند شاطئ عدن؟ إنه ألماني بالطبع ... ولستُ أستبعد أن يكون ساكنُ القلعة رجلًا ألمانيًّا آخر.

هدى: الرجل الثالث؟

كان هذا السؤال قد خطر على بال الشياطين الستة في نفس الوقت ... فلم يردَّ أحد منهم ... كان احتمالًا قويًّا ... ولكن هل هذا مُمكن؟ هل يكون الرجل الثالث في قبرص ... في قلعة كيرينيا؟

بو عمير: ولكن كيف عرف ساكن القلعة هذا أننا نبحث عن «جوزيف سليم»؟ أو الرجل الثالث؟

عثمان: ليس هناك سوى احتمال واحد أن يكون سائق التاكسي الثرثار قد عاد إلى كيرينيا وروى حديثنا معه ... ووصل الكلام إلى ساكن القلعة وعرف أننا سنذهب إلى «باتساليدس»، فاتصل به ليحجب معلوماته عنا.

أحمد: تمامًا ليس هناك سوى هذا الاحتمال!

هدى: يجب أن نتَّجه الآن رأسًا إلى كيرينيا ونرى من هو ساكن القلعة قبل أن يختفي إلى الأبد.

أحمد: معك حق ... ولكن يجب ألا ننسى أننا الآن نُواجه ثلاث مجموعات من الأعداء ... «هانز» وعصابته ... و«بوز» وزملاؤه ... ساكن القلعة ومن يُمكن أن يكون معه من أعوان، وذلك يستدعي قدرًا من التنسيق في تحركاتنا.

إلهام: إن «بوز» هذا يَعرفكم أنتم ولا يعرفنا، لهذا فمِن المُمكن أن نذهب أنا و«زبيدة» و«هدى» إلى كيرينيا دون التعرُّض لمخاطر «بوز» وزملائه، وعليكم أنتم إبعاد «هانز» وعصابته.

أحمد: موافق ... سنذهب إلى منتصف الطريق بين نيكوسيا وكيرينيا، ثم ننقسم إلى مجموعتين الفتيات الثلاث إلى كيرينيا، ونحن إلى نيكوسيا.

وسرعان ما قفز الشياطين الستة إلى السيارة البونتياك الكبيرة، وقادها «عثمان» ببراعة عبر ممرات الجبال.

عند منتصف الطريق بين نيكوسيا وكيرينيا افترق الشياطين، ونزل الشبان الثلاثة ووقفوا في انتظار سيارة تحملهم إلى نيكوسيا، بينما قادت «إلهام» السيارة في اتجاه كيرينيا.

مضت البونتياك القوية تصعد الجبال وتنزل بسرعة ... وقد أعدَّت الفتيات في حقائبهن الصغيرة المسدَّسات الأوتوماتيكية للإطلاق ... فقد يكون ساكن القلعة قد حصل على معلومات عنهن ... وقد يواجهن في وضح النهار هجومًا غير متوقَّع.

وصلت السيارة إلى كيرينيا، وركنتها «إلهام» قرب الكازينو ... ثم نزلت الفتيات الثلاث واتجهن إلى الشاطئ حيث كانت القلعة المُستطيلة ذات الأبراج المستديرة تقف صامتة في مواجهة البحر ... وأمامها ميناء صغير قد انتشرت فيه سفن الصيد الصغيرة وقوارب النزهة.

مشت الفتيات يتضاحكْن كأنهنَّ خاليات البال ... ولكن عيونهن كانت ترمق كل شيء وتفحص كل شيء ... وقالت «زبيدة»: هذا إذن ميناء القراصنة.

إلهام: نعم ... ويبدو أن القراصنة لم يعيشوا في الماضي فقط ... فما زال هناك قراصنة مثل ساكن القلعة.

واقتربت الفتيات من بعض الصيادين الذين كانوا يُصلحون شباكهم وقالت «إلهام»: نريد قاربًا للنزهة.

وفي هذه اللحظة انشقت الأرض وظهر «بوز» ... عرفتْه «إلهام» فورًا من الوصف الذي سمعتْه من «أحمد» ... القوام الفارع ... والقوة الظاهرة ... والوجه المشاكس ... وقال «بوز» مكشرًا عن ابتسامة سخيفة: إنني في الخدمة ... وسأضع تحت تصرُّفكِ أجمل قاربٍ بخاري في كيرينيا!

وأشار بإصبعه ... ونظرت الفتيات الثلاث ... كان قاربًا أنيقًا حقًّا يلمع تحت ضوء الشمس، صاعدًا هابطًا مع الأمواج الخفيفة.

أحست «إلهام» بالتحدِّي يسري إلى عروقها ... إن «بوز» يعتقد أنه ملك الجزيرة ... وقد آنَ الأوان ليتعلم فقالت: كم الأجر في الساعة؟

رد «بوز»: لا تَحملي همَّ النفقات ... إنني أدعوكنَّ جميعًا للنزهة على حسابي.

ابتسمت له «إلهام» ابتسامة ساحرة ... وسِرنَ خلفه حتى القارب، وسرعان ما كان يغادر الميناء الصغير متجهًا إلى البحر ... وقالت «إلهام» مشيرة إلى القلعة: شيء مُثير هذه القلعة!

رد «بوز» بكلمة واحدة: نعم.

ولكن «إلهام» لم تيئس وقالت: هل هي ملك لشخص؟

بوز: لا طبعًا ... إنها ملك للحكومة القبرصية.

إلهام: ولكنَّني سمعت أنَّ ثمة شخصًا يسكنها.

تغيَّر وجه «بوز» وقال: سمعتِ ... من الذي قال لك؟

إلهام: لا أذكر بالضبط ... ولكنه شيء مُثير أن تكون في هذه القلعة القديمة حياة ... لا بد أنه قرصانٌ من طراز جديد.

عاد «بوز» إلى الابتسام وقال: إنها فكرة ظريفة ... ولكن الحقيقة ليست هكذا.

وأخذ القارب يشق طريقه في الماء مبتعدًا عن ميناء القراصنة حتى أصبح شريطًا رفيعًا عند الأفق، ونظرت «زبيدة» إلى «إلهام» ... ووجدتْها شديدة الاطمئنان كأن لا شيء يشغل بالها.

وكان الحديث يتصل بين الفتيات الثلاث وبين «بوز» أحيانًا ثم ينقطع ... وأخيرًا نظرت «إلهام» إلى ساعتها وقالت: لقد تجاوزتِ الساعة الثانية بعد الظهر ... وآن الأوان لنعود لتناول طعام الغداء.

قال «بوز»: غداء؟! إن ثلاجة القارب فيها كل شيء ... وفي إمكانكنَّ إعداد غداء شهي لنا.

إلهام: فكرة جميلة أن نتغدى هنا ... هيا يا «زبيدة»!

وقامت «إلهام» و«زبيدة»، إلى بطن القارب، وبدأتا الحديث على الفور وهما تعدان الطعام.

قالت «زبيدة»: إلى متى ستُجارين هذا الذئب التافه؟

إلهام: حتى تتلاشى ريبتُه فينا ... من المؤكد أن مثل هذا الشاب يعرف الكثير عن القلعة وساكنها المزعوم.

زبيدة: هل تتوقَّعين أن يقول لنا ما يعرفه؟

إلهام: اتركي الأمر لي.

كانت «هدى» تجلس قريبًا من «بوز» ... ولاحظت أنه يَميل على ما يشبه جهاز الراديو بجواره ويستمع ... وأدركت على الفور أنَّ أي حديث دار بين «زبيدة» و«إلهام» قد سمعه «بوز» ... وتظاهرت أنها لم تلاحظ ما حدث ... وقالت وهي تقف: سأَنزل لمساعدتهما.

قال «بوز» بهدوء غريب: لا داعيَ لذلك ... إنهما يمكن أن يقوما بالعمل وحدهما.

أدركت «هدى» أن «إلهام» و«زبيدة» تحدَّثتا معًا عن القلعة ... وأن «بوز» قد سمع حديثهما، وتوقعت المتاعب ... ولكنها كانت مطمئنة تمامًا على أن في إمكانهنَّ التغلب على «بوز» ببساطة مهما كانت قدرته.

وعندما ظهرت «إلهام» و«زبيدة» وهما تَحملان أطباق الطعام، أوقف «بوز» القارب مكانه، وأسرع كشابٍّ مهذب يُساعدهما ... وبعد أن وضعت جميع الأطباق بدأ الأربعة يتناولون غداءهم. كان «بوز» يتظاهر بالمرح الشديد ... ولكن «هدى» استطاعت بنظراتها أن تنقل إلى «زبيدة» و«إلهام» رسالة تحذير ... ومضى الوقت في حديثٍ مَرِح وطعام شهي.

بعد الطعام تناولوا عصير الليمون المثلج، وبدت الرحلة جميلة رغم كل شيء حتى إن «هدى» ظنَّت أنها واهمة ... وقام «بوز» إلى الموتور يُديره ... ولكن الموتور لم يَدُر، وأخذ يحاول ويحاول عبثًا، ثم نزل إلى قلب القارب، وأسرعت «هدى» تقول: أظنُّ أنه استمع إليكما.

وخرج «بوز» على الفور وقال: لقد طلبتُ نجدة.

وبعد فترة ظهر يخت كبير قادم من كيرينيا ... وأحست «إلهام» أن الأمور لا تسير على ما يرام ... واقترب اليخت الضخم مُسرعًا ... وبعد أقل من نصف ساعة كان يقف بجوارهم وقد أطلت منه خمسة وجوه شرِّيرة ... وبدت من جوانبه المدافع الرشاشة وقال «بوز»: والآن سنُحقِّق لكنَّ الحلم ... وستشاهدن ماذا يدور في القلعة.

الرجل السادس

بأسرع مما توقَّع «بوز» أخرجت «إلهام» مسدسها وصوبته إلى قلبه قائلة: إننا نُفضِّل أن نصل إلى القلعة برضانا وليس رغمًا عنَّا!

ابتسم «بوز» ابتسامة بلهاء وقال: ماذا تَفعلين يا آنسة؟ ضعي هذه اللعبة في حقيبتك فهناك خمسة مدافع رشاشة موجَّهة إليك ... وفي إمكان أيٍّ واحد منها أن ينسفك نسفًا.

قالت «إلهام»: إنَّ اللعبة التي في يدي يُمكن أن تقتل يا «بوز» ... قل لهم أن يبتعدوا!

بوز: ولكنَّ المحرِّك معطَّل، ولن نستطيع الوصول إلى الشاطئ.

إلهام: سنصلح المحرك الذي لا أعتقد أنه معطَّل ... وسنتصل باللاسلكي برجال الشرطة ... فإننا ...

لم يتركها «بوز» تكمل جملتها وقال متهكمًا: شرطة؟!

قالت «إلهام» دون أن تُحوِّل نظرها عنه: «زبيدة» ... حاولي إدارة المحرِّك.

أسرعت «زبيدة» بينما وقفت «هدى» جانبًا، وقد أشهرت مسدسها هي الأخرى وقد ثبَّتت نظرها على الوجوه الخمسة التي كانت تقف على حافة اليخت الكبير ... كانت تعرف أن السلاح الذي بيدها ضئيل جدًّا بالنسبة لهذه المدافع الأتوماتيكية السريعة الطلقات ... ولكنها كانت تعرف في نفس الوقت أنه لا بدَّ من ثمنٍ إذا شاء هؤلاء أن يهاجموا.

عادت «زبيدة» مسرعة وقالت: إنَّ مفتاح المحرك ليس به.

ابتسم «بوز» ابتسامة صفراء وقال: إنه معي ... وحاوِلي أن تأخذيه!

ولم يُصدِّق «بوز» ما حدث في اللحظات التالية، فقد تقدمت منه «زبيدة» مسرعة، وبينما كانت الابتسامة البلهاء ما تزال على وجهه، هوَت بجانب كفِّها على رقبته بضربة قاسية فقد على أثرها توازنه ... ثم انقضَّت عليه فلوت ذراعه ووضعت قدمها على ظهره ... وبيدها الأخرى فتشته وأخرجت سلسلة المفاتيح.

وفي هذه اللحظة ظهر وجهٌ سادس على اليخت ... كان وجه رجل بين الخمسين والستين من عمره ... بادي القوة والصرامة ... وقد شاهد «زبيدة» وهي تَصرع «بوز» بسرعة مذهلة فابتسم وقال: لقد ضُربت مرتين يا «بوز» ... أمس واليوم ... ولعلَّ ذلك يعطيك درسًا في معرفة حدود قوتك!

زمجر «بوز» وهو يُدلك رقبته، ويقف ... وفجأةً انقضَّ على «زبيدة» مُحاولًا ضربها، ولكن «زبيدة» أدارته بسرعة، ثم دفعتْه فسقط في الماء. وفي هذه اللحظة حدث ما لم تتوقَّعه الشيطانات الثلاث ... لقد كان محرِّك اليخت الكبير دائرًا ... وبسرعة وقبل أن يتوقعن ... صدم اليخت الكبير القارب صدمة قوية ... واهتزَّت الفتيات الثلاث ... سقطت «زبيدة» و«هدى» في الماء ... وسقطت «إلهام» داخل القارب وانقض الرجال الخمسة شاهِرين مدافعهم السريعة الطلقات.

بعد فترة قصيرة ... كانت الفتيات الثلاث يَجلسن في صالون اليخت الكبير ... ومعهن الرجل الذي أنَّب «بوز» عندما أوقعتْه «زبيدة» ... وعرَّفهن بنفسه: «يكن» والد «بوز».

ولاحظت «إلهام»، وهي تنظر من نافذة الصالون الأنيق، أن اليخت لا يتجه إلى الشاطئ ... بل يتوغل في البحر وقالت: إننا لا نتَّجه إلى البر!

قال «يكن» مبتسمًا: لقد طلبتن أن تَقُمن برحلة بحرية وستَقُمن بها ...

إلهام: ولكن نحن نُفضِّل العودة إلى البر فورًا.

يكن: ستَعُدن طبعًا ... ولكن ليس الآن ... عندما يهبط الظلام ...

إلهام: ولكننا لا نجد سببًا لما تفعل.

يكن: بل هناك أسباب كثيرة ... إنَّني أريد أن أتشرف بمعرفتكن ... فقد قدمت نفسي!

إلهام: كما ترى نحن ثلاث فتيات ...

ابتسم «يكن» قائلًا: ولكن ليس كبقية الفتيات ... إن الواحدة منكنَّ تُساوي مجموعة من الرجال!

لم تردَّ «إلهام»، كان ذهنها يعمل سريعًا للخلاص من هذه الورطة ... ولم يكن ذلك شيئًا سهلًا ... فهنَّ أسرى في يختٍ ضخم، تحت حراسة مشدَّدة بالمدافع السريعة الطلقات ... وفي وسط البحر ... وفكَّرت في الشياطين الثلاثة ... «أحمد» و«عثمان» و«بو عمير» ... ماذا يفعلون الآن ... وهل يعلم «عثمان» بعلاقتهم بهن؟!

وكأنما كان «يكن» يقرأ أفكارها؛ فقد أسرع يقول: إن زملاءك الثلاثة سيكونون موضع رعايتنا. واختفَت ابتسامته وقال بصرامة: والآن ... لقد انتهت فترة المجامَلات وأريد أن أعرف فورًا سبب اهتمامكم أنتم الستَّة بالقلعة وبمن فيها.

لم تردَّ «إلهام»، ونظر الرجل إلى «زبيدة» و«هدى» ... ووجد نفس الوجه الجامد المُصر على الصمت ... فقام واقفًا وقال: سأترك لكنَّ ربع ساعة لتتفاهمن ... وأريد ردًّا واضحًا. لماذا تهتمون بقلعة كيرينيا ... وبـ «جوزيف سليم»؟

وغادر الصالون على الفور ... كانت «زبيدة» قد بدأت تُحسُّ بالبرد بثيابها المبتلة. وكذلك «هدى» ... فقالت «إلهام»: لقد بدأ الظلام يهبط ... وسيزداد البرد.

زبيدة: ليس هذا مهمًّا ... المهم ماذا سنفعل؟

إلهام: لن نقول كلمة واحدة طبعًا، ولاحِظنَ أن نتحدَّث بصوت منخفض حتى لا يسمعون ما نقول!

هدى: ولكن هل نجلس هكذا لا نفعل شيئًا؟! أقترح أن نهاجمه بمجرد دخوله ... وسنُرغم بقية من في اليخت أن يستمعوا إلينا.

إلهام: لقد جرَّدُونا من أسلحتنا، ولا أعتقد أنه أصبح من السهل السيطرة على الموقف، وأنا أُفضِّل أن ننتظر العودة إلى الشاطئ ... وهناك يمكن أن يحدث الكثير ... وأعتقد أن علينا أن نطلب العودة فورًا حتى يُمكن أن تُغيِّرا ثيابكما ... فإنني أخشى أن تُصابا بنزلة برد عنيفة ...

هدى: المهم أن يكون كلُّ ما يحدث الآن يقربنا من هدف الوصول إلى الرجل الثالث.

إلهام: شيء غريب أن يكون «بوز» جزءًا مما نبحث عنه ... وصدامه مع «عثمان» يكون فاتحةً لكل ما يحدث الآن!

زبيدة: هل لاحظتما حديث «يكن» عن الشياطين الثلاثة ... إنه يقول إنهم سيكونون موضع رعايته ... ومعنى ذلك أنهم إما أن يكونوا قد وقعوا في يديه ... أو هم مُراقبون من رجاله ... كما هم مراقبون من رجال «هانز»!

إلهام: «هانز» ... لقد نسينا «هانز» ... ما رأيكما أن نقول لـ «يكن» إنَّنا من رجال «هانز»؟

زبيدة: لا أظنُّ أنه لا يعرفه ... ويعرف رجاله ...

إلهام: لا أعتقد أنه يعرف «هانز» ... بدليل أن رجال «هانز» لم يكونوا يعرفون شيئًا عما يحدث في قبرص ... لولا حضورهم خلفنا.

هدى: لا تنسَي زوجة «جوزيف سليم» ... إذا كانت هنا فلا بدَّ أن «يكن» يعرف كل شيء عن «هانز».

إلهام: ولكن زوجة «جوزيف» لا تَعرف إذا كنا نَعمل لحساب «هانز» أم لا ... صدِّقاني إنها فرصتنا خاصة نحن نعرف الكثير عن «هانز».

في تلك اللحظة ظهر «يكن» ... وكان شهمًا ... فقد أحضر للفتاتَين بعض ثياب البحارة، ثم خرج وقال إنه سيعود بعد لحظات ... وغيَّرت «زبيدة» و«هدى» ثيابهما بسرعة وأحسَّتا بالراحة والدفء خاصةً بعد أن جاء أحد البحارة وهو يَحمل إبريقًا ضخمًا من الشاي ... وبعض البسكويت ...

عاد «يكن» وقال: لقد آنَ الأوان لأن أسمع منكن الحقيقة ...

قالت «إلهام» وهي تتظاهر بالتردُّد: وماذا يفيدنا إذا قلنا لك؟

يكن: أضمن سلامتكنَّ، وخروجكن من الجزيرة.

إلهام: وزملائنا؟

يكن: سأرى!

إلهام: إنني أشترط هذا!

يكن: لستنَّ في موقف يسمح لكنَّ بإملاء الشروط، ولكن إذا مضَت الأمور على ما يرام ولم يحدث شيء يُسيء لي فسوف أسمَح لهم بالخروج سالمين ...

كان «يكن» يتحدث بثقة فقالت «إلهام»: في هذه الحالة فإنني سأقول لك كل شيء.

يكن: عظيم!

إلهام: نحن كنَّا نعمل في مكتب للعلاقات العامة كان يملكه شخص يُدعى «كريم» ... وذات يوم من نحو شهر حضر شخص يُدعى «هانز»، وطلب من «كريم» مساعدته في البحث عن شخص دخل لبنان منذ ثلاثين عامًا تقريبًا ... وهو أجنبيٌّ وفي الغالب ألماني ... وأعطانا بعض أوصافه ...

بدأ الاهتمام على وجه «يكن» وقال: وبعد؟

أدركت «إلهام» أن «يكن» لا يعرف شيئًا عن حقيقة الشياطين، ولا عن «هانز»، ونظرت إلى الفتاتين بسرعة ... ثم مضت تقول: وقُمنا جميعًا بالبحث عنه ... وقد دفع «هانز» لـ «كريم» مبلغًا ضخمًا، وبالتالي أخذنا أجورًا مرتفعة ... وظللنا نبحث عن «جوزيف» هذا حتى وجدناه ... وكان يُقيم في فيللا قريبة من البحر في قرية خلده في لبنان ...

يكن: هذا صحيح!

إلهام: وأخبرنا «هانز» بمكانه، فقام بخطفِه، وأخذه مع «كريم» إلى شاطئ للبحث كما سمعنا عن كنز. ومنذ ذلك الوقت اختفى «كريم» واختفى «جوزيف» وطبعًا كان يهمنا العثور على «كريم». فعدنا إلى فيللا «جوزيف»؛ حيث اصطدمنا بعصابة «هانز» ... وعثرنا على بعض لوحات ... كان قد رسمها «جوزيف» بيده بينها بعض مناظر من قبرص فيها قلعة كيرينيا، فحضرنا إلى هنا لعلنا نجد «جوزيف» ونعرف منه مصير «كريم» ...

ابتسم «يكن» وقال: لا «جوزيف» ... ولا «كريم» هنا!

إلهام: ولكن «هانز» ورجاله هنا.

ضاقتا عينا «يكن» وومض فيها بريق مخيف وقال: «هانز»؟!

إلهام: نعم ... وقد حاول ثلاثة من رجاله الإيقاع بنا، ولكنَّنا تغلبنا عليهم وعرفنا أن أحدهم يدعى «كارل» ...

يكن: وأين هم الآن؟

إلهام: لا نعرف ... ولكنهم ... في نيكوسيا، فقد اصطدمنا بهم هناك.

قام «يكن» مسرعًا وترك الفتيات الثلاث ... ونظرت «زبيدة» إلى «إلهام» وابتسمت وكذلك فعلت «هدى» ... قد استطاعت أن تقصَّ قصة حقيقية مقنعة جدًّا. ليس فيها إلا شيء واحد، أنهم لم يكونوا في أي يوم من الأيام من أتباع «كريم».

وانقضَّت الفتيات على الشاي الساخن، والبسكويت، ونظرت «إلهام» من نافذة الصالون المستديرة ثم قالت: لقد هبط الظلام!

وبدأ اليخت يُغيِّر اتجاهه فأضافت «زبيدة»: واليخت يتجه إلى الشاطئ!

إلهام: المشكلة هي أن يتمكَّن «يكن» من الإيقاع برجال «هانز»، وأظنُّ يستطيع.

زبيدة: ويَكتشف الحقيقة.

هدى: ونقع بين مخالف «يكن» ... وأنياب «هانز» ...

إلهام: دعونا ننتظر ونرى ... المهم أن نصل إلى الشاطئ ونلتقي بـ «عثمان» و«أحمد» و«بو عمير».

وزاد اليخت من سرعته ... متجهًا إلى الشاطئ.

الفجر في ميناء بيروت

كان ميناء القراصنة مكونًا من ثلاث مساحات واسعة ... الأول مياه البحر الممتدة أمامه ... ثم سور طويل من الحجر يمتد من المدينة حتى يمرَّ أمام قلعة كيرينيا، ثم المدينة الصغيرة نفسها ... وعندما وصل اليخت الكبير مقلًّا «يكن» ورجاله ... والفتيات الثلاث ... كان الظلام يُغطي الميناء إلا بعض الأنوار المُتناثِرة هنا وهناك، ووقف اليخت بجوار السور الذي يفصل البحر عن الميناء الهادي.

وسرعان ما كان رجال «يكن» يقتادون «إلهام» و«زبيدة» و«هدى» فوق السور الحجري ... وفُتح باب في جانب القلعة ... واختفى الجميع داخله ...

كانت مفاجأةً ما شاهدَتْه الفتيات الثلاث داخل القلعة ... كانت الغرفة الحجرية الضخمة مفروشة بأفخر الأثاث ... وعلى جدرانها القديمة عُلِّقت أثمن اللوحات ... ولاحظت «إلهام» على الفور أن بين اللوحات أكثر من لوحة بريشة «جوزيف سليم» ...

وأشار «يكن» إلى الفتيات فجلسْنَ، وقال: سيذهب رجالي الآن للبحث عن «هانز» ورجاله، فإذا ثبت صحة ما سمعتُه منكنَّ ... فسوف أُعطيكنَّ مكافأةً سخية، وستَعُدن إلى بيروت على طائرة الصباح.

وما كاد «يكن» يُغادر الغرفة، حتى أسرعت الفتيات الثلاث لفحصِ المكان ... لقد عرفْنَ أن ما قالته «إلهام» لم يَكُن صحيحًا كله ... وسوف يتمكَّن رجال «يكن» خلال ساعات قليلة من اكتشاف الحقيقة ... وساعتها سوف يكون حسابهنَّ عسيرًا.

كانت الساعات القليلة القادمة هي فرصتهنَّ الوحيدة ... في غياب أكثر رجال «يكن» وقبل اكتشاف الحقيقة ... وأخذت كل واحدة منهنَّ جزءًا من الصالة الكبيرة التي يجلسن فيها ... وسرعان ما قالت «هدى» هامسة: خلف هذه السجادة الفخمة المعلَّقة على الحائط باب سرِّي!

وأسرعت «هدى» و«زبيدة»، وبأصابع مدرَّبة أخذت «إلهام» تجسُّ الحائط ... وتقيس أبعاده. ثم قالت: هذا صحيح ... المهم من أين يُفتح؟

دارت الفتيات الثلاث بعيونهنَّ في الصالة الواسعة ... وأخذت كلٌّ منهن تجسُّ بيديها النتوءات الموجودة في الحائط ... وتُحاول إدارتها ... ولكن الباب ظل مغلقًا ... وفجأة وقع بصر «زبيدة» على تمثال قريب من الباب السرِّي ... كان التمثال لقرصانٍ أعورَ قد أشهر في يده خنجرًا وهو يقفز إلى الأمام ... وأسرعت «زبيدة» إلى التمثال وأخذت تتحسَّس أجزاءه بيدَيها ... ولاحظت أن رأس التمثال مقسوم إلى نصفين ... وإن اختفى ذلك تحت طاقية القرصان النحاسية ... وأدارت «زبيدة» الجزء الأعلى من رأس التمثال ... ودقَّ قلبها سريعًا عندما دار الرأس معها ... ونزعت الجزء الأعلى ثم مدت يدها داخل الرأس، ووجدت مفتاحًا يُشبه الصليب وأدارت المفتاح وهي تنظر إلى الحائط ... ودار الباب السري ودارت معه السجادة الفخمة ...

أعادت «زبيدة» الجزء الأعلى من الرأس مكانه ثم أسرعت الفتيات يجتزْنَ الباب، وأغلقنَه خلفهنَّ ...

كان أمامهنَّ سرداب مُظلِم ... ولكن ضوءًا خفيفًا كان يأتي من نهايته بدَّد بعض الظلمة خاصةً بعد أن اعتادَت أعينهن على الظلام.

وفي هذه الأثناء ... كانت ثلاثة أشباح سريعة الخطو تَجري فوق سور القلعة العلوي ولم تكن الأشباح الثلاثة سوى «عثمان» و«أحمد» و«بو عمير». وكان الشياطين الثلاثة قد انتظروا عودة الفتيات طول النهار ... وعندما لم يَعُدن فقد تحرَّك الثلاثة من نيكوسيا إلى كيرينيا وعرفوا من الصيادين أن الفتيات الثلاث خرجْنَ في نزهة مع «بوز» في يخته ... وجلسُوا خلف صخرة يرقبون البحر حتى عاد اليخت، وشاهَدُوا الفتيات وهنَّ يدخُلن القلعة تحت الحراسة المشددة، ثم خروج سبعة من رجال «يكن» مُسرعين.

لم يكن الشياطين الثلاثة يعرفون ما حدث في البحر ولا تطوُّرات الأحداث وما قالته «إلهام» لـ «يكن» ... كل ما كان يُهمُّهم الآن هو تخليص الفتيات من قلعة القراصنة ... وانتظروا فترة بعد دخول الفتيات وخروج الرجال السبعة، ثم تسلَّقوا سور القلعة وبدءوا يَجرُون فوق السور، ثم وقفوا فجأةً وشاهدوا منظرًا غريبًا.

كان تحتهم مباشرةً صالة مكشوفة ... وكان «بوز» يقف في طرف منها مُمسكًا مدفعًا سريع الطلقات ... وكانت الفتيات الثلاثة يَقعن في الطرف الآخر للصالة ... وكان «بوز» يضحك بشراسة قائلًا: إنَّ «يكن» الآن مشغول بفرنكاته الذهبية ولن يُنقذكنَّ مني أحد.

قالت «إلهام»: ولكن يا «بوز» ... إنَّ والدك فهمَ كل شيء ... إننا نبحث عن صديق لنا يُدعى «كريم»!

بوز: إنني لا أصدق حرفًا مما قلتِه لأبي ... وسوف يعود الرجال الآن بالحقيقة!

إلهام: وماذا تُريد منا؟!

ضحك «بوز» بوحشية وقال: ستَعرفين فورًا ما أريد!

وأشار «بوز» بيدَيه فتقدم رجل لم يَكُن ظاهرًا، وأمسك بالمدفع، بينما تقدم «بوز» من «زبيدة» وقال: ألم يكن عيبًا يا آنسة أن تَستظهري قوَّتك أمام أبي؟! لقد آنَ الأوان لأريك من هو «بوز»!

وتقدم «بوز» من «زبيدة» ... وفي هذه اللحظة انطلقت كرة «عثمان» الجهنمية في خط مستقيم وأصابت الرجل الذي يَحمل المدفع ... وفي نفس اللحظة أيضًا قفز «بو عمير» قفزة هائلة، وسقط فوق «بوز»، وظهر رجلٌ ثانٍ مُمسكًا بمسدس ضخم ... ولكن «إلهام» كانت قد انطلقت هي الأخرى كالصاروخ ... وضربتْه بقدمها الطائرة ... ثم التحمَت معه ... وتحوَّلت الصالة الحجرية إلى أجساد متشابكة بعد أن قفز «أحمد» و«عثمان»، وانضم عدد من رجال «بوز» إليه في الصراع.

كانت اللَّكمات تَهوي كالمطارق والأنَّات تَرتفِع ... والشياطين الستة يستعرضون فنون قتالهم، وفجأةً وجد «عثمان» نفسه أمام «بوز»، وقال له بصوت مَرِح: حاوِلْ أن تُدافع عن نفسك يا فتى!

واندفع «بوز» كالثور الهائج في اتجاه «عثمان»، وعاجَلَه «عثمان» بضربة قوية على رأسه، ولكن «بوز» لم يسقط، بل التحَمَ بـ «عثمان»، كان قويًّا فأطبق بيدَيه على رقبة «عثمان» ولكن «عثمان» بكل ما يملك من قوة، ضربه في بطنه ضربةً مُوجِعة بيده اليمنى، بينما كانت يده اليسرى تدقُّ رقبة «بوز» بلكمة أطارت الهواء من حنجرته ثم انحنى «عثمان» وحمَلَه ... ودار به عدة دورات ثم قذَفَه بجوار الحائط فسقط وقد تراخى جسده مثل قطعة قديمة من القماش.

انتهت المعركة الصاخبة دون أن يصدر عنها ما يلفت الأنظار ... ووقف الشياطين الستة يُصلحون ثيابهم، وحملوا ما استطاعوا من أسلحة ... ثم اجتازوا دهليزًا واسعًا مُضاءً ومضوا فيه ... وفي نهايته شاهَدُوا منظرًا لا يُنسى ... كان ثمة رجل يربط بعض الصناديق الحديدية ويُدلِّيها من فتحة في الماء الذي كان يتلاطم تحت القلعة. وهمست «زبيدة»: إنه «يكن» والد «بوز»!

رد «أحمد» في همس: وهذه هي الفرنكات الذهبية التي دار حولها الصراع الدامي!

زبيدة: هل «يكن» هو ...

قال «أحمد»: بالتأكيد إنه الرجل الثالث ... وبالتأكيد أيضًا ليس اسمه «يكن». إنه ألمانيٌّ ومِن الواضح أنه استطاع أن يَخدع زميلَيه اللذَين كانا يَعرفان سرَّ الكنز ... البحَّار الذي مات في بوسطن ... و«جوزيف سليم» الذي مات في عدن ... لقد استطاع «يكن» بواسطة أعوانِه أن يَستخرِج الكنز من مكانه ... وأن يَحتفظ به لنفسه.

وقف الشياطين صامتين حتى انتهى الرجل من ربط الصناديق، ثم أغلق الباب الحجري عليها. ورفع رأسه وقد بلَّل العرق وجهه ... وشاهد الشياطين الستة يقفون أمامه، وقد امتدت ناحيته فوهات المسدسات والمدافع السريعة الطلقات.

بدَتْ في عينَي الرجل نظرة وحشية غادِرة ... وبدأ ينظر حوله. ورأى «أحمد» في نظرته ما ينبئ أنه ينوي شيئًا ... وكان يعرف أن هذه القلاع القديمة مليئة بالفخاخ ... وليس من المستبعَد أن يتمكَّن الرجل بحركة واحدة أن يُغلق عليهم بابًا أو يُسقطهم في البحر.

قال «أحمد» محذرًا: لا داعي يا سيدي لأن تتصرَّف بحماقة!

ثم التفت إلى الشياطين وقال: تفرَّقوا حوله ... لا تقفوا جميعًا في مكان واحد.

ثم عاد «أحمد» يقول: إننا نعرف كل شيء عنك، وعن كنز الفرنكات الذهبية الذي كان في الغواصة ... لقد مات اثنان ممَّن يعرفون السر ... وبقيتَ أنت وحدك بعد أن خدعتهما وحصلت على الكنز وحدك ... ولعلك كنت تَدفع لـ «جوزيف سليم» بعض المال ليعيش حياة هادئةً ليرسم وينسى الكنز ...

قال «يكن»: اسمعوا ... ما زال عندي ما يكفي لكي أدفع لكم ما يكفيكم جميعًا مدى الحياة ... كونوا عقلاء ... فلن يَستفيد أحد من كشف هذا السر.

أحمد: فكرة طيبة يا سيدي ... ولكننا نعمل من أجل العدالة ... وليس من أجل النقود!

يكن: إنها حماقة!

أحمد: ولكنها الحماقة الوحيدة المعقولة في هذا العالم!

ثم التفت «أحمد» إلى الشياطين وقال: قيِّدوه ... وأخرجوا الصناديق!

إلهام: ماذا ستفعل؟

أحمد: سنأخذه والكنز في اليخت الكبير إلى بيروت.

إلهام: ولكن رجال «يكن» قد يعودون في أي لحظة ... لقد ذهبوا للقضاء على عصابة هانز.

أحمد: سوف يستغرق ذلك بعض الوقت، وسنكون قد رحلنا!

بعد نصف ساعة كان اليخت الكبير يشقُّ عباب الماء مسرعًا مبتعدًا عن قبرص، يحمل الشياطين الستة ... وصناديق الكنز المملوءة بالفرنكات الذهبية ... والرجل الثالث ...

وقالت «إلهام» وهي تقف بجوار «أحمد»: هناك سرٌّ لم نَكشِفْه حتى الآن.

أحمد: ما هو؟

إلهام: زوجة «جوزيف» ... أين ذهبت؟

أحمد: من يدري؟! ربما عادت إلى وطنها ألمانيا ... وعلى كل حالٍ لعل رقم «صفر» قد حصل على معلومات عنها ... وسنَعرف ذلك عندما نصل إلى المقر ...

وعندما كان الفجر ينتشر فوق بيروت ... كان اليخت الكبير يقترب من الميناء الهادئ ... وكانت «إلهام» تنام على كتف «أحمد» وهو جالس في مقدمة اليخت ينظر إلى الأفق الذي انتشر اللون الأحمر في جنباته معلنًا عن مقدم يوم جديد.

هنـــداوي